جامعة الأزهر

ملحق

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس والعشرون

المجلد الثانى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

أثر العربية في اللغات الأوربية

عن طريق اللاتينية

تأليف الدكتور

سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد اخترت موضوع "أثر العربية في اللغات الأوربية عن طريق اللاتينية" وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

١- لفت نظري أن الباحثين عندما ينظرون في أثر العربية في اللغات الأوربية يوردون الكلمات العربية الموجودة في هذه اللغات، فيقولون مثلاً: الألفاظ العربية في اللغة الفرنسية، أو الألفاظ العربية في اللغة الإنجليزية، أو الألفاظ العربية في اللغة الألمانية.

٢- بعد البحث وجدت أن الألفاظ العربية في اللغات الأوربية مكررة في الأغلب. فالألفاظ التي في الإنجليزية هي الألفاظ التي في الفرنسية، وهذه بدورها هي الألفاظ التي في الألمانية، فلماذا تكررت هذه الألفاظ في كل لغة من اللغات الأوربية؟.

٣- وعندما نقرأ عن تاريخ اللغات الأوربية نجد أن هذه

اللغات نشأت في القرن الخامس عشر الميلادي، "أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين" وهو الزمن الذي انكمشت فيه العربية، وخرجت من أوربا، وهو العصر الذي حكم فيه العثمانيون البلاد العربية، فكيف حصل هذا وحال العربية وأهلها في هذا الوضع؟.

وبعد التأمل والبحث وجدت أن اللغة اللاتينية هي اللغة المعاصرة للعربية، منذ الفتح الإسلامي حتى خروج العرب من الأندلس، في أواخر القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، وهي لغة العلم والمعرفة والسياسة في أوربا، بل ولغة الكنيسة منذ الفتح الإسلامي حتى خروج العرب من الأندلس، بل بقيت حتى بعد خروج المسلمين من الأندلس، أي إلى القرن السادس عشر، وهي التي ترجم إليها التراث العربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين الموافقين للقرنين السادس والسابع الهجريين، وهي اللغة الرسمية في أوربا الغربية، عندما كانت اللغة العربية تسيطر على إسبانيا وجنوبي فرنسا وأجزاء من جنوبي إيطاليا وشماليها، وصقلية وجزر البحر الأبيض المتوسط، ولذلك فإن معظم الألفاظ العربية قد انتقلت إلى اللغات الأوربية عن طريق اللاتينية، لأن الألفاظ العربية قد انتقلت إلى اللاتينية مباشرة عن طريق ترجمة التراث العربي، أو مشافهة من العرب الذين كانوا يسيطرون على أجزاء من أوربا، وقد وُجدت ألفاظ عربية في الكتب، والقصور، والمقابر، في تلك الفترة وفي النقوش، ولذلك سميت هذا البحث باسم: " أثر العربية في اللغات الأوربية عن طريق اللاتينية".

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وفيها سبب الاختيار والخطة والمنهج.

التمهيد: اللاتينية لغة العلم والمعرفة في أوربا.

الفصل الأول: معابر اللغة العربية إلى أوربا، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأندلس (إسبانيا والبرتغال)، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالأندلس وحضارتها العربية الإسلامية.

المطلب الثاني: القضاء على المسلمين ولغتهم العربية.

المبحث الثاني: صقلية وجنوبي إيطاليا.

المبحث الثالث: جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا.

الفصل الثاني: مدرسة طليطلة والترجمة من العربية إلى اللاتينية.

الفصل الثالث: أمثلة لما أخذته أهم اللغات الأوربية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، ثم اتبعت هذه الخاتمة بفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات.

الدراسات السابقة:

لم أجد من تناول هذا العنوان: "أثر العربية في اللغات الأوربية عن طريق اللاتينية" ولكن وجدت بعض الموضوعات المتناثرة التي تتحدث عن أثر العربية في بعض اللغات الأوربية والتي يظن أصحابها أن الألفاظ العربية قد انتقلت إليها مباشرة، ومنها ما يلي:

١- الكلمات الأجنبية في اللغة الفرنسية "لبيير جيرو" ذكر فيها مائتين وثمانين كلمة دخلت الفرنسية من العربية.

٢- شمس العرب تسطع على الغرب: للمستشرقة "زيغريد هونكه"، ذكرت فيه تأثير العربية في الألمانية، وذكرت فيه مائتين وخمسين كلمة عربية دخلت الألمانية.

٣- "عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي" للدكتور سليمان أبو غـــوش.

ونلحظ أن هذه الكلمات المذكورة في هذه اللغات متشابهة، وقد سبق أن بينا أن هذه اللغات نشأت في القرن الخامس عشر، وهذا يدل على أنها انتقلت إليها من اللاتينية.

منهج البحث:

سأسير في هذا البحث على وفق المنهج التالي:

١- بيان المناطق التي دخلتها العربية من القارة الأوربية، وتاريخ دخول العربية إلى تلك المناطق، والمدة الزمنية التي مكثتها

العربية هناك، والآثار التي خلفتها، وبيان خروج العربية من تلك الديار وأسباب ذلك الخروج.

٢- بيان أسباب إقبال الأوربيين على تعلم العربية، وأسباب إنشائهم لمدارس ترجمة التراث العربي إلى اللاتينية، والذي بدوره انتقل إلى اللغات الأوربية الموجودة اليوم.

٣- بيان أن اللغة العربية انتقلت إلى الأوربيين عن طريق اختلاطهم بالعرب، وعن طريق الدراسة، وعن طريق الترجمة.

التمهيد

اللاتينية لغة العلم والمعرفة في أوربا

عندما ظهرت المسيحية، كانت قد تأسست دولة عظيمة ذات تقاليد حربية مشهورة في التاريخ القديم، تلك هي الدولة الرومانية التي اتسعت رقعتها من حول روما شرقا، وضمت إلى سلطانها معظم ممتلكات الإمبراطورية الإغريقية، وامتد نفوذها غرباً لتشمل غرب أوربا بما في ذلك إنجلترا(١).

ولغة هذه الدولة العظيمة هي التي تعرف بين الدارسين باللغة اللاتينية ولم تكن اللاتينية في بدء نشأتها سوى إحدى لهجات إيطاليا، وقد كتب لها السيادة على اللهجات الأخرى، وأصبحت في العصر المسيحي تسود كل مناطق هذه الدولة الرومانية.

وترتب على اتساع رقعة الدولة الرومانية شرقاً وغربا، أن انتشرت اللاتينية في الشرق إلى حد ما، وفي الغرب إلى حد كبير وأصبحت لغة عظيمة تضم شعوباً متباينة(٢).

وعندما انقسمت المسيحية في الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية فإن الشرقية، وهي الأرثوذكسية قد اتخذت اليونانية لغة رسمية لها.

---

(١) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس ٢٦٩، واللغة العربية في العصر الحديث، للدكتور محمود فهمي حجازي ١٤٩.

(٢) اللغة بين القومية والعالمية ٢٧٠.

وأما الكنيسة الغربية الكاثوليكية فإنها اعتبرت الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية، ولا يجوز القداس إلا باللغة اللاتينية، وبانضمام القوط الغربيين إلى الكاثوليكية اكتسبت الكنيسة الغربية السيادة في العالم المسيحي، والولاء للبابا، وعظم شأن اللاتينية[١].

وفي العصر الذي سيطرت فيه العربية على أجزاء من أوربا، وهو من أواخر القرن الأول الهجري أوائل الثامن الميلادي إلى أواخر القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي كانت لغة أوربا اللاتينية وهو ما يعرف لدى الأوربيين. بالقرون الوسطى وهو الزمن الذي كثرت فيه الترجمة من العربية إلى اللاتينية وأقبل فيه الأوربيون على ترجمة ما في العربية من علوم بنهم وشغف بل صاروا يتسابقون في ذلك.

وفي العصور الوسطى كان الغرب موحداً في إطار التعليم باللغة اللاتينية، كتب بها أبناء الثقافة اللاتينية في جنوب أوربا من رومانيا إلى إسبانيا، وفي وسط أوربا من بولندا إلى ألمانيا إلى ساحل الأطلنطي والجزر البريطانية. وظلت لها في العصور الوسطى مكانة ممتازة باعتبارها لغة تعامل ثقافي، وديني، في أنحاء هذه المنطقة، وكانت وسيلة التعامل المشتركة عند أقوام

(١) الفصحى لغة القرآن، لأنور الجندي ٢١٠، والمسلمون في تاريخ الحضارة لاستانوودكب ١١٤.

تحدثوا في حياتهم اليومية بلهجات ولغات متباينة، ولكنهم التقوا جميعاً في إطار اللاتينية(١).

وفي أواخر القرن الثاني عشر أصبحت اللغة اللاتينية، اللغة العالمية، في غرب أوربا، حتى قال بعض الأوربيين: إذا نحن عبرنا عن اللاتينية في القرن الثاني عشر بأنها لغة دولية لما كفى هذا التعبير(٢) إذ لم تكن لغة الاتصال والتفاهم، بين الدول بعضها، وبعض فحسب، وإنما استخدمت أيضاً داخل مختلف بلاد غرب أوربا، في المناسبات والأغراض العامة والخاصة، كما استعملها الناس في الصلاة والترتيل(٣).

واللاتينية لغة لعلم والتعليم في ذلك العصر، فالطلاب يلقنون اللغة اللاتينة في المدارس ويتلقون بها جميع علومهم، كما أن كتبهم المدرسية دونت بها، مما جعل اللغة اللاتينة لغة الطبقة المتعلمة المثقفة في المجتمع الأوربي. واللاتينية لغة الكنيسة ورجال الدين، إذ كانت الكنيسة تهيمن على الحياة العلمية، والثقافية، والأدبية، وتحتكر لرجالها من الكهنة والرهبان، المعرفة والتعليم، من دون سائر النـــاس(٤).

---

(١) ينظر: اللغة العربية في العصر الحديث، للدكتور محمود فهمي حجازي ١٤٩.

(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى، للدكتور ســعيد عبد الفــتاح عاشــور ٢/١١٤.

(٣) المرجع السابق ٢/١١٤.

(٤) ينظر: أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، للدكتور عبد المجيد نعنعي ١٦.

ومما قوّى من سيطرة الكنيسة على الحياة الفكرية، كون اللغة اللاتينية كانت وحدها مقبولة، ومتداولة في المدرس والجامعات، من دون سائر اللغات القومية، وكذلك في القانون، والمحاكم، كما دونت بها القوانين الرومانية، والكنسية، بل والقوانين المستحدثة، التي وضعها "النورمان" و"اللمبارديون"، و"هنري الثاني" ملك إنجلترا، و"رومر الثاني" ملك صقلية، كذلك تشهد الوثائق واللوائح والأوامر الباقية، من القرن الثاني عشر على أن اللغة اللاتنية ظلت الأداة المستخدمة في الحكم والإدارة(١).

وفي القرن الثاني عشر اشتدت الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وفي القرن الثالث عشر بلغت الترجمة ذروتها. وآتت حركة الترجمة من العربية أكلها في أوائل القرن الرابع عشر إذ ترتب على هذه الحركة ثورة علمية وفكرية شاملة في غرب أوربا، ذلك أن المعارف الجديدة التي نقلت من العربية إلى اللاتينية، جعلت الأوربيين يفيقون من الظلمة والجهالة التي عاشوا فيها، قروناً طويلة، ويقبلون على الدراسات العلمية الجديدة في شغف ونهم(٢).

وقد ثار المتأثرون بالترجمة العربية على الكنيسة الكاثوليكية ولغتها اللاتينية، وترجموا التوراة والإنجيل إلى اللغات الوطنية،

(١) ينظر: أوربا في بعض الأزمنة ١٦، وأوربا العصور الوسطى ١١٥/٢.
(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ١١٧/٢.

واللهجات المحلية، مما كان سبباً في نشأة اللغات الأوربية الحديثة، كالألمانية والإنجليزية والإيطالية والفرنسية والإسبانية(١).

"وكان للعرب في الأندلس فضل كبير في توجيه طبقة المتعلمين والمثقفين في المدن من العلمانيين بصورة خاصة، نحو آثار اليونان، بما نقلوه من تراثهم(٢).

ومن الذين تأثروا بالترجمة العربية الشاعران الإيطاليان "دانتي" و"بترارك"(٣) إذ دعا الأول منهما إلى الكتابة باللهجة الإيطالية، ودعا الثاني إلى الرجوع إلى الآداب اليونانية ولو كانت مخالفة للكنيسة(٤). ومثل "أرازم" الهولندي الذي ترجم الكتاب المقدس عن نص يوناني قديم، بلغة سهلة ودعا الناس لقراءته باللغات الدارجة(٥). ومثل "مارتن لوثر" الذي ثار على الكنيسة الكاثوليكية، وكون مذهب البروتستانتية وترجم الكتاب المقدس، إلى اللغة الألمانية(٦).

ومثل "زوينغلي" السويسري الذي حرّم على اتباعه الصلاة باللاتينية(٧).

---

(١) ينظر: الفصحى لغة القرآن ٢٣٨.
(٢) أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ٣٠.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب لـ"زيغريد هونكه" ٥٣٤.
(٤) أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ٣٤.
(٥) المرجع السابق ٥٣.
(٦) المرجع السابق ٥٩.
(٧) المرجع السابق ٦٩.

وقبل نهاية القرن السادس عشر اكتملت اللغات الأوربية الموجودة اليوم وأصبح لكل لغة ما يميزها عن الأخرى(١).

وقد بقيت اللاتينية إلى القرن السابع عشر إلا أنه بعد القرن السادس عشر، أصبح للمفكرين والكتاب لغتان، إحداهما محلية والأخرى هي لاتينية الكنيسة، وقد اصطنع كثير من هؤلاء كلتا اللغتين في كتاباتهم.

غير أنهم في القرن السابع عشر وما بعده قد انصرفوا عن الكتابة باللاتينية. وتعد معاهدة "راستات" عام ١٧١٤م أولى المعاهدات الأوربية التي لم تكتب باللاتينية(٢).

---

(١) المرجع السابق ٣٥.
(٢) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية ٢٧٣.

الفصل الأول

معابر اللغة العربية إلى أوربا

تمهيـــد:

نريد بالمعبر الأرض الأوربية التي فتحها المسلمون واستوطنتها اللغة العربية زمنا وأثرت في لغة أهلها، وهذا يشمل ثلاثة معابر هي:

المعبر الأول: الأندلس (إسبانيا والبرتغال) ويضاف إليه الجزر المحيطة به، مثل جزر البليار، وهو أهم المعابر؛ لأن العربية بقيت فيه أكثر من ثمانية قرون.

والمعبر الثاني جزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا وبعض الجزر المحيطة بها، مثل سردينيا، وكورسيكا، وقد بقيت العربية فيه ما يقارب خمسة قرون؛ لأنها مكثت فيه حتى بعد زوال حكم العرب وذلك في أيام النورمانيين.

والمعبر الثالث: جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا، وقد بقيت العربية فيه أكثر من مئتي عام.

وهذه المعابر مرتبة حسب أهميتها.

وهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأندلس "إسبانيا والبرتغال)، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالأندلس وحضارتها العربية الإسلامية.

المطلب الثاني: القضاء على المسلمين ولغتهم العربية.

المبحث الثاني: صقلية وجنوبي إيطاليا.

المبحث الثالث: جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا.

وسنذكر عند الحديث عن كل معبر الأسباب التي أدت إلى زوال المسلمين ولغتهم العربية.

المبحث الأول

الأندلس "إسبانيا والبرتغال

وهو يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالأندلس وحضارتها العربية الإسلامية.

المطلب الثاني: القضاء على المسلمين ولغتهم العربية.

المطلب الأول

التعريف بالأندلس وحضارتها العربية الإسلامية

الأندلس: اسم أطلقه المسلمون على شبه جزيرة إيبريا التي تشمل حالياً دولتي إسبانيا والبرتغال، وهذا مأخوذ من(Vandalos) فندلس، وهو اسم لبعض القبائل الجرمانية التي أغارت في أوائل القرن الخامس الميلادي على مملكة الرومان، وكان هؤلاء "الفندلس" أو كما يسميهم كثير من الباحثين باسم الفندال، قد وصلوا إلى جنوب إيبريا واحتلوه لمدة عشرين عاماً وسموه باسم "فنداليسيا" نسبة إليهم(١).

---

(١) ينظر في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، للدكتور سيد عبدالعزيز سالم ص ٥، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور أحمد هيكل ١٣، والأدب العربي في الأندلس، للدكتور عبد العزيز عتيق ٩.

فلما جاء المسلمون بعد ذلك أطلقوا على شبه الجزيرة جميعاً اسم "الأندلس" وظل مؤرخوهم وجغرافيوهم وسائر علمائهم وأدبائهم يستعملون هذه التسمية، ويفضلونها حين يريدون شبه الجزيرة الإيبرية(١). وهذا ما سنسير عليه في هذا البحث.

سكان الأندلس قبل الإسلام:

دخلت بلاد الأندلس في عصور التاريخ الأولى أمم كثيرة نذكر منها ما يـلي:

١- أقدم من سكن الأندلس الإيبريون وقد اختلط بهم قديماً ما يسمى بالسلتيتين(٢).

٢- وفي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أقام فيها الفينيقيون وخاصة في الجنوب حيث أسسوا مدنا، لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم، مثل مدينة قادس.

٣- وفي القرن السابع قبل الميلاد أقام الإغريق في بعض جهاتها وخاصة الجهات(٣) الشرقية وانشأوا من المدن ما بقي بعضه حتى اليوم كمدينة "برشلونة".

٤- وفي القرن الخامس قبل الميلاد نزل بها،

---

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ١٣.
(٢) ينظر في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص ٧، والأدب الأندلسي التطور والتجديد ٦٧، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ٢٢-٢٣.
(٣) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ٢٢-٢٣.

القرطاجنيون وأسسوا بها مدنا[١] جديدة، مثل "قرطاجنة" التي سموها باسم دولتهم في شمال إفريقيا.

٥- وفي حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي بسط الرومان نفوذهم على شبه الجزيرة حين تغلبوا على دولة "قرطاجنه" وورثوا ملكها وأطلقوا عليها اسم إسبانيا[٢] وقد أخذوه من تعبير "فينيقي"، وهذا التعبير يعني ساحل الأرانب وتعليل ذلك أن الفينيقيين قد صادفوا كثيراً من الأرانب على الشاطئ الإيبري، الذي نزلوا فيه، ومنذ ذلك الحين أصبحت شبه الجزيرة ولاية رومانية، وقد صبغ الحكم الروماني تلك البلاد بصبغته التي ظلت أهم خصائصها حتى الفتح الإسلامي، وهي اللغة الرومانية (اللاتينية) والدين المسيحي.

٦- وفي أوائل القرن الخامس الميلادي استقر "الفندلس" في جنوب شبه الجزيرة، حين أغارت القبائل الجرمانية على ممتلكات الدولة الرومانية وقد ظل هؤلاء حينا في جنوب شبه الجزيرة، ثم أجلاهم عنها القوط، وهؤلاء كسابقيهم بعض تلك القبائل الجرمانية، التي كانت تغير على ممتلكات الرومان في ذلك الحين، وقد سيطر القوط عل شبه الجزيرة تقريباً وأسسوا ملكاً كبيراً عاصمته طليطلة، وظل ملكهم حتى الفتح الإسلامي.

---

(١) المرجع السابق ٢٢-٢٣.
(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ١٣، والأدب الأندلسي التطور والتجديد ٦٧.

وكان هؤلاء القوط قد اعتنقوا المسيحية التي سبقتهم منذ العهد الروماني، وكذلك كانت اللغة السائدة في العهد القوطي هي اللغة الرومانية (اللاتينية) التي سبقت القوط إلى السيطرة على شبه الجزيرة ودخلتها بدخول الرومان.

فتح الأندلس:

فتح المسلمون الأندلس عام ٩٢هـ/٧١١م، وتبع الجيش الإسلامي الفاتح القبائل العربية من كل مكان، وانتشر الإسلام بسرعة فائقة بين سكان شبه الجزيرة، ولم يلبث أن نحى النصرانية عن عرشها، وصارت الغالبية العظمى من أهل البلاد مسلمين، وصاروا يسمون بالمسالمة وأبناؤهم يسمون بالمولدين(١).

واختلط المسلمون الفاتحون، وهم العرب والموالي والبربر، مع السكان الأصليين وعاشروهم، وصاهروهم، وامتزجوا بهم(٢).

كما نشأ جيل من أولاد المسلمين الذين تزوجوا بإسبانيات وهؤلاء عرفوا باسم المولدين أيضاً(٣).

ويضاف إلى أولئك ما يعرف بالصقالبة، وهم مماليك يجلبون من عدة بقاع أوربية، وخاصة المناطق السلافية، وكان تجار الرقيق

---

(١) ينظر: الأدب العربي في الأندلس ص ٥، والأدب الأندلسي التطور والتجديد ص ٧٣، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ٣٨، والتاريخ الإسلامي، للدكتور جمال الدين الشيال ص ١٨.
(٢) ينظر: الأدب الأندلسي ص ١٠٠.
(٣) ينظر: التاريخ الإسلامي ١٨.

من الجرمان وأشباههم يسبون هؤلاء السلافيين صغاراً، ثم يبيعونهم في أسواق إسبانيا، وقد عرف هذا النوع من الرقيق في الأندلس باسم الصقالبة، ثم غلب الاسم على كل الرقيق، وإن لم يكن سلافيا(١)، وقد بدأ هؤلاء الصقالبة يظهرون في المجتمع الأندلسي، منذ أيام عبد الرحمن الداخل، وكل هؤلاء، أي العرب والأسبان المسالمة والمولدون والصقالبة قد اتخذوا الإسلام ديناً.

انتشار العربية في الأندلس:

وكما انتشر الإسلام بسرعة فائقة في شبه الجزيرة، انتشرت اللغة العربية، وذلك أن العرب قد وفدوا على إسبانيا، في موجات هائلة، وانتشروا في أقاليمها انتشاراً متغلغلاً. وكانوا يمثلون أكثر القبائل العربية العدنانية منها والقحطانية، وقد كان لهؤلاء العرب أثر كبير، في نشر اللغة العربية في شبه الجزيرة، ويضاف إلى ذلك إقبال أهل الجزيرة أنفسهم على اللغة العربية، لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم نظراً لكونها لغة الحضارة الغالبة، والعلم المتفوق ولسان الممتازين من ذوي السلطان ولا أدل على مدى انتشار اللغة العربية، في عصر مبكر بين المسيحيين أنفسهم، من الشكوى التي أطلقها، أحد قساوستهم واسمه "ألفرو" القرطبي حيث يقول: "إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص٣١.

أسلوباً عربياً جميلاً صحيحا، وأين تجد الآن واحداً من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين، وآثار الأنبياء والرسل؟ يا للحسرة!! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جميع كتبها، ويفخرون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة جديرة بالإعجاب. فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم، يا للألم !! لقد أنسى النصارى حتى لغتهم فلا تكاد تجد في الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحبه كتاباً سليماً من الخطأ. فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد منهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منمق بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنّاً وجمالاً"(١).

وهكذا زحزحت العربية اللاتينية عن عرشها في شبه الجزيرة، كما زحزح الإسلام المسيحية أيضاً. وبهذا صارت العربية اللغة الرسمية للبلاد، كما صار الإسلام دينها الرسمي.

وقد بقيت أقلية من الإسبان، أو من السكان الأصليين، لم تعتنق الإسلام، بل بقيت على نصرانيتها، وقد ترك المسلمون لهؤلاء حريتهم، في البقاء على دينهم، وفي مزاولة شعائرهم، وقد بهرت الحضارة الإسلامية هؤلاء المسيحيين، الذين كانوا يعايشون

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص٤٠.

المسلمين في الأندلس، فأخذوا من هذه الحضارة، ومن أصحابها الشيء الكثير، فقلدوا المسلمين في لغتهم، وتعلموا ثقافتهم، بل لبسوا ملابسهم، وعاشوا إلى حد كبير على نمط حضارتهم، ولذلك سموا بالمستعربين Mozarabes. ولم يكن هؤلاء المستعربون وحدهم، الذين يعايشون المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى، فقد كان إلى جانبهم جاليات يهودية، وجدت من المسلمين كثيراً من التسامح وحسن المعاملة"(١).

وهكذا انقسم السكان الأصليون في شبه الجزيرة إلى قسمين:

القسم الأول -وهو الغالبية العظمى-: اتخذت الإسلام دينا والعربية لساناً.

والقسم الثاني -وهو الأقلية-: التي بقيت على دينها، ولم تعتنق الإسلام، واتخذت العربية لساناً، ولذلك سموا بالمستعربين، وهذا يشمل من لم يسلم من النصارى واليهود، أي أهل الذمة.

ولم يمض على الفتح ثلاثون عاماً، حتى أصبح الناس ينسخون الكتب اللاتينية بحروف عربية، وبعد خمسين عاماً أصبح الناس كلهم يتكلمون بالعربية، وأقام الرهبان شعائرهم الدينية في الكنائس باللغة العربية(٢).

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ٤٠

(٢) ينظر: الفصحى لغة القرآن ص ٧٠، وتاريخ آداب العرب للرافعي ٣/٣٢٧، والإسلام والحضارة العربية، لمحمد كرد علي ١/١٧٧.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن التاسع الميلادي، الذي أصبحت فيه اللغة العربية هي لغة الوثائق الرسمية، ترجم قسيس من أهل أشبيلة التوراة إلى اللغة العربية لتلاميذه، فوجد أحد العلماء هناك على أهل دينه، واتهمهم بالمساعدة على نشر اللغة العربية، والعمل على ترك اللاتينية. وقد دامت هذه الحال زمنا طويلاً، في قرطبة وطليطلة حتى أن القسس لجهلهم اللاتينية اضطروا إلى ترجمة كتب الكنيسة إلى اللغة العربية...[(١)].

وفي أواخر القرن الثالث الهجري فقدت هذه التقسيمات "عرب ومولدون ومسالمة ومستعربون" بسبب اختلاط الناس وتحول أهل الدولة الإسلامية في الأندلس إلى أندلسيين دون تمييز، وتبادل الناس العادات والتقاليد، وأصبح المجتمع الأندلسي عربي الملامح والسمات، ولم يبق من التسميات السابقة، إلا كلمة المستعربين، التي تستخدم عند التفريق بين المسلم وغيره.

ويضاف إلى الأسباب التي أدت إلى انتشار اللغة العربية في الأندلس حرص الحكام الأمويين، واهتمامهم باللغة العربية، فقد حظر هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠) على النصارى أن يتكلموا بغير العربية[(٢)]، وفي هذا دلالة واضحة على حب هؤلاء الملوك للغتهم، وعملهم على سيطرتها لتحكم الألسنة، بأن تجعل اللغة العربية لغة الأسواق وحديث التعامل وحوار الباعة.

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي التطور والتجديد ص١٠٦.
(٢) ينظر: الأدب الأندلسي والتطور والتجديد ص٢٦٢.

حضارة الأندلس:

بلغت الدولة الأندلسية ذروة مجدها الحضاري، في خلافة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم، إذ لم يشهد التاريخ الإسلامي عصراً زاهراً كعصره من حيث أعماله ومنجزاته(١)؛ إذ في عهده انصرف الناس إلى الإنتاج، واستثمار موارد البلاد، في صورة لم تعرفها البلاد من قبل، إذ حفروا الآبار، واختطوا السواقي، التي تراوح محيط عجلاتها بين عشرين وثلاثين متراً. وتلقوا مياه الجبال المتساقطة في أحواض كبيرة، بلغت مساحة بعضها خمسة كيلو مترات مربعة، تختزن المياه لوقت الحاجة تخرج في قنوات ضخمة توزعها على الحقول حسب الحاجة، وهكذا عمروا مرتفعات وسفوح جبالٍ، ما كان أحد يظن أنه يمكن أن يستفاد منها، في الزراعة لجفافها الدائم(٢). ولم تلبث أرض الأندلس، أن تحولت إلى حقول زراعية مثمرة، انتشرت فيها أشجار التين والزيتون والنخيل، في حين أدخلت زراعة، قصب السكر والأرز في الأجزاء الشرقية، والقطن والكتان في الإقليم المحيط بأشبيلية، والتوت وصناعة الحرير في الجنوب حول غرناطة(٣). وعلّم المزراعون طرق زراعة ورعاية التفاح والخوخ واللوز والمشمش والبرتقال

---

(١) ينظر: الأدب العربي في الأندلس ص ٧٧.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٩٦.
(٣) أوربا العصور الوسطى ٥٣٨/١.

والكستناء والموز والنخيل والبطيخ، وكثير من النباتات والأشجار التي مازالت حتى اليوم تمثل جزءاً هاماً، من صادرات إسبانية(١).

وقد صحب هذا النشاط الزراعي في الأندلس اهتماماً كبيراً بالري ورسائله حتى أن كثيراً من المصطلحات والأدوات المستخدمة في الزراعة والري في إسبانيا الحديثة، ما زالت حتى اليوم تحمل أسماء عربية أو ذات أصل عربي(٢).

واهتم الأندلسيون بتربية الحيوان، إذ وجدت المراعي الواسعة التي ربيت فيها قطعان الماشية للاستفادة من أصوافها وألبانها ولحومها، وكان العرب أول من أجرى التجارب ومارس التفريخ الصناعي على نحو ما نعرفه نحن اليوم(٣)، كما اهتم العرب بالمناجم واستخرجوا منها كميات هائلة من الحديد الخام، والنحاس والزئبق، وبدأت صناعات عدة تنتشر في جميع أنحاء البلاد، مما لم يكن للغرب فيها أية دراية(٤).

وأصبحت المدن مراكز لنشاط تجاري وصناعي واسع، إذ كان يتم فيها تصنيع وبيع وشراء الجزء الأكبر من المحاصيل الزراعية، وكانت أهم الصناعات، صناعة المعادن، والخزف،

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص٤٩٧.
(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٥٣٨/١، وشمس العرب تسطع على الغرب ص٤٩٧.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب ص٤٩٧، وأوربا العصور الوسطى ٥٣٨/١
(٤) شمس العرب تسطع على الغرب ص٤٩٧.

والزجاج، والمنسوجات القطنية، والكتانية، والحديدية فضلاً عن التطريز، وقد اشتهرت قرطبة بصناعة الخزف الفخار، كما اشتهرت بالجلود التي نسبت إليها، في حين اشتهرت طليطلة بالسيوف والأسلحة[١].

وقد بلغت قرطبة درجة كبيرة من الازدهار في العصر الإسلامي، بعد أن أصبحت مركزاً تجارياً وصناعياً وعلمياً عظيما، بالإضافة إلى أهميتها السياسية والدينية بوصفها عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس، ذلك أن المسلمين اتخذوها حاضرة لهم وأقاموا فيها القصور والمساجد، والأسواق ذات الفن العربي الرفيع، والتي مازال بعضها باقياً حتى اليوم يشهد على عظمة حضارة العرب في الأندلس، وقد أجمع المؤرخون على أنه لم توجد مدينة أخرى معاصرة في أوربا -خلاف القسطنطينية- بلغت ما بلغته قرطبة في العصر الإسلامي، من تقدم الحضارة ورخاء الحياة[٢]، ذلك أن عدد سكانها أصبح يتراوح بين مليون ونصف مليون، وبلغ عدد منازلها مائتي ألف ومساجدها ثلاثة آلاف، وحماماتها العامة ثلاثمائة[٣]، وبها ثمانون مدرسة وسبع عشرة مدرسة عليا، وعشرون مكتبة عامة فيها عشرات الآلاف من الكتب[٤]، ويكفي قرطبة فخراً في العصر الإسلامي، أن أهلها كانوا يستطيعون السير في طرقاتها بعد

(١) أوربا العصور الوسطى ٥٣٩/١.
(٢) المرجع السابق ٥٣٩/١.
(٣) ينظر: المرجع السابق ٥٣٩/١.
(٤) ينظر: شمس العرب ص ٤٩٩.

غروب الشمس في ضوء المصابيح العامة في حين ظلت لندن سبعة قرون بعد ذلك لا يوجد بها مصباح عام واحد يضيء ظلمة شوارعها[١].

لقد كانت شوارع قرطبة تزدان بثمانين ألف متجر، وتضاء ليلاً بمصابيح ثبتت على حيطان المنازل، وتباشر فيها أعمال النظافة عن طريق عربات القمامة، التي تجرها الثيران.

وتسجل الراهبة الشاعرة "هروز فيتا" وهي في صومعتها "بدير جاندرزهايم بسكسونيا" إعجابها بقرطبة فتقول في أغنية جميلة:

"قرطبة المدينة الشابة، وهي زينة الدنيا، قرطبة شهيرة بجمالها، فخورة بقوتها، قرطبة هي التي حوت كل شيء تزهو به المدن"[٢].

وجذبت بلاد الأندلس في أوج ازدهارها آلافاً من اليهود والمسيحيين، بل إن الطلبة من كل أنحاء الدنيا تدفقوا على بلاد الأندلس وعلى قرطبة بالذات ليتعلموا فيها، خاصة أيام حكم الأمويين بين القرنين الثاني والخامس[٣].

وغدت قرطبة مركزاً للشعراء والأدباء والعلماء، وبخاصة في عهد الحكم المستنصر الذي أرسل في شراء أمهات الكتب من

---

(١) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٥٣٨/١.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص٥٠٠.
(٣) المرجع السابق ص ٥٠٠.

القاهرة وبغداد ودمشق والإسكندرية، فإذا تعذر شراؤها أرسل من يقوم بنسخها، وإحضارها إلى قرطبة، حتى أصبحت مكتبة قصر الخليفة تضم أكثر من أربعمائة ألف مجلد. وصحب هذا النشاط العلمي، ازدياد في عدد المدارس، وعلى رأسها يأتي مسجد قرطبة الجامع، الذي أنشأه عبد الرحمن الداخل، والذي أصبح بمثابة جامعة علمية ضخمة من الطراز الأول، تدرس فيها جميع أنواع المعرفة، من علوم دينية، كالفقه، والحديث، والشريعة، إلى الأدب شعرا ونثراً، إلى علوم بحتة، كالطب والفلك، والجغرافيا، والطبيعة، والكيمياء، والفلسفة، مما جعل قرطبة تنازع بغداد مكانتها، كأعظم مركز للنشاط الفكري في العالم الإسلامي، ولمعت في سماء قرطبة أسماء عريضة لعلماء فطاحل أمثال الفيلسوف الكبير ابن رشد، وابن زهر، وابن طفيل، وابن باجة، وابن البيطار، وابن فرناس، وابن الخطيب، وابن خلدون، وابن عربي، وابن سبعين وغيرهم، ممن ترجمت كتبهم إلى اللاتينية(١).

وهكذا استمر شعاع الحضارة العربية مضيئاً في الأندلس وبخاصة في الميادين الثقافية والاقتصادية والفنية -حتى امتد ليضئ غرب أوربا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وما بعدهما(٢).

---

(١) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب ص٥٠٠، وأوربا العصور الوسطى ٥٤٠/١.
(٢) أوربا العصور الوسطى ٤٩٠/١.

المطلب الثاني

القضاء على المسلمين ولغتهم العربية

من المعروف أن الإسلام إذا حل في أرض لا يرحل عنها بالكلية، وهذا مشاهد في جميع البلدان التي دخلها الإسلام ما عدا أوربا الغربية اللاتينية "الكاثوليكية" في ما يعرف بالعصور الوسطى؛ إذ لم يبق الإسلام فيها مع مكوثه مئات السنين في بعض نواحيها، ومنها الأندلس "إسبانيا والبرتغال" التي مكث فيها أكثر من ثمانية قرون ثم زال عنها وزالت معه لغته العربية، وهذا ما سنبينه فيما يلي:

بقي للإسبان بعد الفتح الإسلامي جزء منعزل في الشمال الغربي من شبه الجزيرة الإيبرية يعرف بإقليم "جليقية" لم يطمع المسلمون في امتلاكه لفقره وبرده ووعورته فتركوه ولم يهتموا بشأنه واجتازوا جبال البرنية (البرانس)، هذا الجزء الصغير الذي تركوه كان هو النقطة التي بدأ منها انتقاص الدولة الإسلامية، إذ انحاز إليه البقية الباقية من نبلاء القوط ورجال الدين فنبتت فيه بذرة الدول الإسبانية التي لا تزال باقية حتى الآن(١)، وقد ظلوا يترقبون الفرص لتوسيع هذا الإقليم.

فلما كانت الحروب الأهلية بين عرب الأندلس من ناحية وبين البربر من ناحية أخرى، انتهز النصارى الفرصة، ووصلوا بملكهم

---

(١) الإسلام والحضارة العربية، لمحمد كرد علي ٢٣٩/١، والإسلام تاريخ وحضارة، لأنور الجندي ص ٢٤٩، ٢٥١.

إلى ضفاف نهر دويرة، واحتلوا مدينة ليون، وجعلوها عاصمتهم، وأصبحت مملكتهم تسمى مملكة ليون، وظل أمرها على هذا الحال، وهي تتوسع رويدا رويداً في المنطقة التي خلت بنـــزوح البربر إلى الجنوب إثر انهزامهم أمام العرب، وقد بدأت هذه الإمارة النصرانية متاخمة لأوربا، مما ساعدها على الاتصال المباشر بالبابوية، والعالم الكاثوليكي(١). وظلت القوى المسيحية في غرب أوربا، تعمل منذ وقت مبكر على استرداد إسبانيا؛ لأن إسبانيا كانت من أولى بلاد غرب أوربا، التي وصلتها المسيحية، وأصبحت تحتل مكانة ظاهرة في العالم المسيحي الغربي بفضل ما صار فيها من أماكن مقدسة جعلت المسيحيين يحجون إليها من مختلف أنحاء غرب أوربا، ولكن استقرار المسلمين وازدياد قوتهم من جهة، واضطراب أحوال أوربا من جهة أخرى، حال دون قيام العالم المسيحي الغربي بعمل جماعي ضد المسلمين في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، القرنين الثالث والرابع الهجريين، ولكن مساعدتهم لا تزل مستمرة للممالك المسيحية في شمال إسبانيا.

وعندما ضعفت الدولة الأموية ثم سقطت عام ١٣٢هـ كانت هناك، أربع دويلات مسيحية، في شمال إسبانيا، هي مملكة "ليون"، ومملكة "نفاري" (نواره)، و"كونتية برشلونة"، و"كونتية قشتالة"(٢)، وبعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة سنة ٤٢٢هـ تفككت الوحدة

---

(١) الإسلام تاريخ وحضارة ص٢٥١.

(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٥٤٣/١.

السياسية للأندلس، وقامت على أنقاض الخلافة عشرون[١] دويلة، كل دويلة استقل بها من يحكمها، ونصّب نفسه ملكاً عليها واختار أهم مدينة فيها عاصمة له، ولذا أطلق عليهم المؤرخون اسم: ملوك الطوائف، وقد استمروا إلى سنة ٤٨٤هـ[٢].

وقد استغل حالة ملوك الطوائف نصارى الشمال، فأخذوا يستولون على المزيد من الأراضي الإسلامية، كما استغلت أوربا الغربية، هذا الوضع فأرسلت حملات صليبية متوالية إلى نصارى إسبانيا؛ إذ حث الرهبان نبلاء فرنسا على محاربة المسلمين، فنـــزح بعض الأمراء المغامرين إلى إسبانيا سنة ١٠١٨م، ومعهم أتباعهم، وفي سنة ١٠٣٣م، توجهت إلى إسبانيا جماعة أخرى بقيدة أمراء "برجنديا" ثم تكرر تدفق هذه الجموع الصليبية على إسبانيا سنة ١٠٦٣م، وسنة ١٠٧٣م حتى كانت ١٠٨٥م وهي السنة التي شهدت وصول قوة ضخمة إلى إسبانيا، بزعامة بعض الأمراء "البرجنديين" و"كونْت تولوز"[٣].

مما جعل نصارى الشمال، يستولون على مساحات واسعة من الأراضي الإسلامية، إذ أخذ "راميرو" المنطقة الجبلية التي اتسعت بعد ذلك، وأصبحت نواة لمملكة "أرغونة"، وضم "فردناند" الأول ملك قشتالة إليه مملكة "ليون" القديمة، وأخذ يتوسع بسرعة حتى

---

(١) حضارة العرب في "لغوستاف لوبون" ص ٢٦٩.
(٢) ينظر: الأدب العربي في الأندلس ص٩٣، وفي تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص١٧.
(٣) أوربا العصور الوسطى ٥٤٢/١.

أسس قبل وفاته سنة ١٠٦٥م إمارتين تابعتين له، هما: "كونتية أو بورتو"، و"كونتية مونديجو" اللتان أصبحتا بعد ذلك جزءاً من دولة البرتغال، وقد بلغ التوسع المسيحي درجة خطيرة في عهد الفونس السادس، ملك "ليون" و"قشتالة"، الذي أوغل في وادي نهر تاجة حتى استولى على مدريد، عاصمة إسبانيا الحديثة، واستمر في توسعه حتى سقطت طليطلة في يده سنة ٤٧٨هـ-١٠٨٥م، وبذلك خسر المسلمون معقلاً من أعظم معاقلهم في الأندلس. كل هذا حصل في عصر ملوك الطوائف.

وكان لسقوط طليطلة سنة ١٠٨٥م دوي هائل في جميع أنحاء العالم المسيحي. وسقوط طليطلة حقق للنصارى فوائد جليلة، منها:

١-سقوط طليطلة يعني استرداد العاصمة الأولى للمسيحيين قبل الفتح الإسلامي، وإعادة العاصمة يعني استراداد الدولة.

٢- نجاح الحملات الصليبية التي أرسلت إلى إسبانيا، فعندما احتل الفونس السادس طليطلة ساهم معه في الاستيلاء على المدينة العربية وحصارها، فرسان، ألمان، وإيطاليون، وفرنسيون، بل إن أول أسقف لها كان فرنسيا حضر بكهنته من كلوني[١].

٣- سقوط طليطلة جرأ الصليبيين على اقتحام العالم الإسلامي إذ كانت أولى الحروب الصليبية سنة ١٠٩٦م.

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص٥٣٢.

٤- الاستيلاء على طليطلة أدى إلى العثور على مئات من المراجع العربية من مختلف العلوم مما كان سبباً في نهضة القرن الثاني عشر، وسنذكر ذلك مفصلاً في الفصل الثاني فيما بعد.

إن سقوط طليطلة في أيدي المسيحيين، أثار شعور المسلمين الذين هزتهم الصدمة وانتابتهم بسببها المخاوف.

يقول في ذلك عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن الغسال[١]:

يا أهل أندلــس حــثوا مطيكم
فمــا المقــام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى
ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه
كيــف الحياة مع الحيات في سفط

وأخذوا يفكرون في طريقة فعالة لوقف الخطر المسيحي من جهة واسترداد ما فقدوه من أراض وبلاد من جهة أخرى، ولم يتردد ملوك الطوائف في هذا الموقف من الاستعانة بالمرابطين، فعبر المرابطون مضيق جبل طارق والتقت جيوشهم مع جيوش الفونس في واقعة الزلاقة بالقرب من بطــليوس سنة ٤٧٩هــ/ ١٠٨٦م، وانتصرت جيوش المسلمين انتصاراً ساحقاً، وسحقت

(١) ينظر: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص ١٩.

جيوش قشتالة ففر الفونس السادس في شرذمة قليلة من جنده، تاركاً خلفه بضعة آلاف من القتلى والأسرى[١].

وفي سنة ٤٩٥هـ/١٠٨٦م تمت للمرابطين السيطرة على الأندلس الإسلامية بأجمعها ما عدا طليطلة[٢].

وعندما ضعفت دولة المرابطين، استغل المسيحيون الفرصة فأخذوا يستولون على المزيد من الأراضي الإسلامية، ففي عام ١١١٨م استولى الفونس الأول ملك أرغونة على سرقسطة، وأخذ يشن غاراته في جوف بلاد الأندلس، ويعود مصطحبا معه كثيراً من المستعربين ليعيشوا وسط إخوانهم في الشمال.

وفي الوقت الذي انشغل فيه الموحدون بالقضاء على المرابطين استغل النصارى هذا الظرف فاستولى "ريموند برنجار كونت برشلونة" على طرطوشة سنة ١١٤٨م[٣].

أما في الجانب الغربي من شبه الجزيرة، فقد سبق أن اتحدت "كونتية أبورتو" مع غيرها من الكونتيات القريبة المجاورة، مكونة "كونتية البرتغال" سنة ١٠٩٥م.

ومن أشهر حكام "كونتية البرتغال" "الفونس الأول"، الذي أوغل سنة ١١٣٩م داخل الأراضي الإسلامية، خلف نهر تاجة،

---

(١) ينظر في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص ١٩، وأوربا العصور الوسطى ٥٤٥/١.
(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٥٤٦/١.
(٣) ينظر: المرجع السابق ٥٤٧/١.

وأحرز عدة انتصارات، ومكنته من اتخاذ لقب: ملك البرتغال في سنة ١١٤٠م، وقد استعان ملك البرتغال هذا في سنة ١١٤٧م بأسطول صليبـــي يحمل جماعة من الإنجليز والفلمنكيين والألمان، إلى الأراضي المقدسة للمشاركة في الحملة الصليبية الثانية، وبمساعدة هذا الأسطول تمكن من طرد المسلمين من لشبونة، التي أصبحت من ذلك الحين عاصمة المملكة البرتغالية الناشئة[١].

وعندما حوصرت لشبونة عام ١١٤٧م واحتلت دخلها جنود من الإنجليز والألمان والفرنسيين وعينوا عليها أسقفا إنجليزيا، ووزع الملك الفونس الأسلاب، على جنوده من مختلف البلدان الأوربية"[٢].

وقد عامل البرتغاليون بمساعدة هؤلاء الجنود – العرب معاملة قاسية إذ قتلوا الأطفال والرجال وسبوا الأعراض ودنسوا كل شيء، وأحرقوا أقوات المدينة، فهلك نيف وعشرون ألف نسمة"[٣].

وهكذا لم يقتصر ميدان الحروب الصليبية على المشرق والأراضي المقدسة بل شمل أيضاً المغرب وإسبانيا، فأخذ الصليبيون الوافدون من إنجلترا وألمانيا يساهمون في فتح لشبونة، كما اشترك الصليبيون الفرنسيون في مساعدة "ريموند برجار كونت

---

(١) ينظر: المرجع السابق ٥٤٨/١.
(٢) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب ص ٥٣٢.
(٣) الإسلام والحضارة العربية ٢٥٤/١.

برشلونة" و"بروفنس"، ثم تكاثرت بعد ذلك في إسبانيا المنظمات الدينية، ذات الصبغة العسكرية، ومن أشهرها: منظمة "سنتياجو"، وبسبب تكاثر هذه المنظمات وجهودها، وتشجيع البابوية لها، اشتدت حماسة المسيحيين في حرب الأندلسيين، كما أخذ الطابع الديني يغلب على هذه الحرب ليجعلها حرباً صليبية مقدسة لا تقل أهمية في نظر الغربيين المعاصرين عن الحروب الصليبية الدائرة في المشرق، وهكذا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الصراع بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا، فأصبح صراعاً عاماً شاملاً بين حضارتين متباينتين وديانتين مختلفتين(١).

وفي تلك الحرب أظهر الموحدون مقاومة عنيفة منذ البداية حتى أنزلوا هزيمة ساحقة بالفونس التاسع ملك قشتالة في موقعة الأرك سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، وهي الموقعة التي انتهت بمقتل آلاف المسيحيين وحصول الموحدين على أعداد من الأسرى وكميات من الغنائم لا حصر لها(٢).

وبعد هذه الموقعة دعا الباب "أنوسنت" إلى إثارة الحماسة الصليبية، في إسبانيا وتشجيع جماعات عديدة من أهالي البلاد الغربية، على عبور جبال البرانس (البرت) للمشاركة في الحرب ضد المسلمين، وحث ملك أرغونة وملك نفاري (نواره) على مشاركة الفونس التاسع، ملك قشتالة في حربه المقبلة ضد

---

(١) أوربا العصور الوسطى ٥٤٩/١.
(٢) المرجع السابق ٥٤٩/١.

المسلمين، وأخيراً دارت معركة العقاب الشهيرة سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م بين الحلفاء المسيحيين وجيش الموحدين، وفي هذه الموقعة حلت الهزيمة بالموحدين فلم تقم لهم قائمة بالأندلس بعد ذلك، وأخذت المدن الإسلامية تتساقط في أيدي المسيحيين واحدة بعد أخرى بحيث لم يتبق للمسلمين عند منتصف القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري سوى مملكة غرناطة الصغيرة في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة(١).

فسقطت قرطبة عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، وبلنسية عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م، ومرسية عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وإشبيلية عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وقادس وشريش عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، هذا في الوقت الذي وصلت البرتغال فيه سنة ١٢٦٢م إلى حدودها الحديثة بعد أن انتزعت إقليم الجرف (الغرب) من المسلمين، وهكذا لم يبق للعرب سوى مقاطعة غرناطة بين جبال نيفادا وساحل البحر – وفي هذه الرقعة الضيقة قدر لهم أن يعيشوا فترة أخرى بلغت نحو قرنين ونصف من الزمان(٢).

وطَرْدُ العرب من معظم بلادهم في الأندلس واقتصار نفوذهم على منطقة غرناطة الحصينة في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة، أوجد أمام ملوك إسبانيا مشاكل عديدة يهمنا منها مشكلة سد الفراغ، الذي تركه العرب خلفهم، وكان حل هذه المشكلة هو

(١) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٥٥١/١.
(٢) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص٧، وأوربا العصور الوسطى ٥٥٢/١.

هجرة المسيحيين تدريجياً من شمال شبه الجزيرة إلى الجهات الوسطى والجنوبية منها وشارك في هذه الهجرة إلى أراضي إسبانيا المستردة من المسلمين، بعض أهالي بلاد غرب أوربا وبخاصة جنوب فرنسا التي نزحت منها أعداد كبيرة لتستوطن إسبانيا(١).

كما أصبحت شبه الجزيرة الإيبرية مكونة من ثلاث ممالك هي: قشتالة، وأرغونة، والبرتغال، بالإضافة إلى مملكة غرناطة.

ولما تزوج "فرديناند" ملك أرغونة إيزابلا ملكة قشتالة وتمت الوحدة بين هاتين الدولتين، أخذ هذان الملكان الكاثوليكيان يعدان العدة للهجوم على المسلمين في غرناطة، وقد بدأ الهجوم سنة ١٤٨١م، فأخذت المدن والقلاع الإسلامية تتساقط واحدة بعد الأخرى، وكان لاستخدام البارود والأسلحة النارية دور في الاستيلاء على كثير من الحصون والمدن في مملكة غرناطة، كما اشترك متطوعون من مختلف جنسيات أوربا كالسويسريين والإنجليز والألمان، وواصل المسيحيون هجومهم حتى سقطت مدينة غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م وسلّم أبو عبد الله الصغير آخر ملك عربي مسلم في شبه جزيرة إيبريا مفاتيحها لـ"فرديناند" و"إيزابلا"، وبذلك ينتهي حكم المسلمين للأندلس الذي دام أكثر من ثمانية قرون (٩٢هـ/٨٩٧هـ)(٢).

---

(١) أوربا العصور الوسطى ٥٥٣/١.
(٢) ينظر: مصرع غرناطة، ص ٨، وأوربا العصور الوسطى ٥٦٩/١.

وكان من شروط تسليم غرناطة، أن يبقى المسلمون أحراراً في دينهم ولغتهم ولباسهم وعاداتهم وأموالهم وأرضهم، فلا يكرهون على شيء[١].

غير أن هذه الشروط لم يطبق منها شيء، بل نقضت واحدة واحدة ولم تحل سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قروناً ولم ينته إلا بطردهم من إسبانيا في القرن السابع عشر؛ إذ بدأ في ذلك العام تنصير المسلمين وذلك بتحريض الكردينال "كيمينيس" رئيس أساقفة غرناطة الذي أخذ[٢] يدعو المسلمين إلى انتحال النصرانية بالمواعظ والخطب، وعندما لم تنجح هذه الطريقة استخدم الوعد والوعيد، ثم أمر عماله بالطواف على أهل غرناطة لتسليم ما لديهم من مخطوطات عربية ومصاحف، وحملها إلى ساحة المدينة فجمعت عشرات الألوف من هذه الكتب التي تشتمل على مختلف العلوم والآداب والأحاديث وأشعلت فيها النيران ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب، والكيمياء، والرياضيات، ليجعلها في الجامعة الجديدة، التي أنشأها في مدينة قلعة هنارس، وقدر البعض هذه المخطوطات التي أحرقت بثمانين ألف مخطوط عربي، وأوصلها بعضهم إلى مليون وخمسة آلاف كتاب[٣].

---

(١) ينظر: الإسلام تاريخ وحضارة ص ٢٥٥.
(٢) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية ص ١٩.
(٣) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص١٩.

وبعد إحراق الكتب ثار المسلمون في البيازين والمرية وباجة وقادس ورندة[١].

وبعد هذه الثورة اتخذت الملكة إيزابلا وزوجها فرديناند قراراً يقضي بفرض التنصير على كل الأندلسيين العرب، أو ترحيلهم إلى شمال إفريقيا إن هم رفضوا ذلك[٢].

وقد نفذ هذا القرار، ونقل العرب الذين رفضوا التنصر إلى شمال إفريقية، ولكن عدد هؤلاء لم يكن كبيراً، حيث لم يستطع الكثير من الباقين دفع المبالغ اللازمة للعبور، فاضطروا إلى قبول التعميد والتنصر[٣].

وبعض العرب انحاز إلى الجبال فامتنع بها[٤]، وكان الإسبان يعتبرون العرب مجرد عبيد وأتباع ورقيق، ولهذا كانوا يعرضونهم للإبادة التامة، فقضوا بالموت على مناطق بأسرها[٥].

وفي عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م أصدرت الملكة إيزابلا مرسوماً، أعلنت فيه ضرورة اعتناق جميع الأندلسيين الديانة المسيحية، أو الرحيل عن إسبانيا، وحظر عليهم السفر إلى الأراضي التي تسيطر

---

(١) ينظر: الإسلام تاريخ وحضارة ص ٢٥٣.
(٢) حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص٢٤.
(٣) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص٣١.
(٤) المرجع السابق، ٣١.
(٥) الإسلام والحضارة العربية ص٢٥٣، وحركة المقاومة العربية الإسلامية ص ٣٣.

عليها الدولة العثمانية، والمناطق الأخرى التي في شمال إفريقيا، التي هي في حالة حرب مع إسبانيا[١].

ويبدو أن هؤلاء هاجروا إلى فرنسا وإيطاليا وإلى الأمريكتين كما أن هذا المرسوم فرض على مدجني قشتالة وليون (وهم العرب الذين بقوا في هذه المناطق بعد انحسار النفوذ الإسلامي عنها)، كما أن هذا المرسوم شمل عرب أرغون، وعرب بلنسية، فاعتبر هؤلاء منصرين بصورة آلية، وهكذا تم تنصير ما يقارب من خمسمائة ألف أندلسي، وحولت مساجدهم إلى كنائس أو أزيلت من الوجود، وألزموا بالسكن في أحياء خاصة بهم[٢].

وفي عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م أصدر الملك فرديناند مرسوماً يحظر فيه على الأندلسيين استخدام اللغة العربية، وارتداء الملابس التقليدية، وممارسة أية عادات أو طقوس إسلامية أو عربية[٣].

وبعد موت الملكين الكاثوليكيين "إيزابلا" و"فرديناند"، و"الكردينال كيمينيس"، تولى الملك شارل الأول، فزاد في القرارات السابقة، وذلك بالتركيز على منع استعمال اللغة العربية، والثياب القومية، والحمامات وعدم تسمية الأطفال حديثي الولادة بأسماء عربية، وأن تفتح أبواب المنازل أيام الحفلات والجمع، حتى لا تقام الاحتفالات إلا على الطريقة الإسبانية، ولكن بعد مفاوضات سرية

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٥.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٦.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٦.

بين الملك شارل الأول، الذي كان في حاجة ماسة إلى الأموال وبين بعض الأندلسيين المتنصرين جرى تجميد تلك القرارات لقاء دفع الأندلسيين مبالغ سنوية، فضلاً عن تحصيل ضريبة تسمى "الفرضة" لقاء السماح لهم بالتكلم بالعربية وارتداء الزي الأندلسي لمدة أربعين عاماً(١).

وفي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري فشلت الكنيسة الإسبانية في فرض التنصير الحقيقي؛ لأن الأندلسيين أنفسهم، لم يكونوا راغبين في التحول عن عقيدتهم، ولقد سادت خلال تلك الحقبة، معادلة غير متوازنة بين الطرفين حيث ظل العرب منصرين اسمياً، ولكنهم كانوا مسلمين من ناحية التطبيق العملي ولقد نجحوا إلى حد ما في إقناع السلطة بوقف تنفيذ قراراتها بحق لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم القومية(٢).

ولكن الملك فليب الثاني (٩٦٣-١٠٠٧هـ/١٥٥٥-١٥٩٨م) الذي خلف والده شارل الأول أراد أن يقضي على ما يمتاز به العرب، فعاد إلى القوانين التي كانت سابقة لوالده، يطبقها فأصدر قانوناً عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م يعطي مدة ثلاث سنوات للأندلسيين لتعلم اللغة القشتالية (الإسبانية) وبعدها لن يسمح لأحد، أن يكتب أو يقرأ أو يتخاطب باللغة العربية، كذلك لم يعترف بأي عقود أو معاملات تجري بهذه اللغة، ومنع القانون صنع الثياب العربية

---

(١) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص٤٧.
(٢) المرجع السابق ص ٤٩.

الجديدة وإتلاف ما تبقى منها، أما القديمة فسمح بارتداء الحريرية منها لمدة عام، والصوفية لمدة عامين، كما حظر التحجب على النساء العربيات، وتوجب عليهن أن يكشف وجوههن ويرتدين المعاطف والقبعات كذلك حظر إجراء أية رسوم إسلامية في الحفلات الخاصة ووجوب فتح أبواب المنازل في أثناء الاحتفال وفي أيام الجمع والأعياد، وقد منع بموجب هذا المرسوم إنشاد الأغاني القومية العربية، والتخضب بالحناء أو استخدام الحمامات، كما حرم أيضاً استخدام الأسماء والألقاب العربية(١).

وبعد هذه القرارات، حصلت ثورة البشرات الثانية، والتي استشهد فيها ما يقارب من عشرين ألف عربي، وقد استمرت لمدة سنتين مما جعل فليب يطلب العون من لمبارديا ونابولي وصقلية، كما اشترك فيها قواد من النمسا وإيطاليا. وفي أثناء هذه الثورة هجّر ما يقارب من خمسة وثلاثين ألف عربي من غرناطة(٢).

وفي عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م أصدر الملك فليب الثاني مرسوماً يقضي بترحيل جميع الأندلسيين من مملكة غرناطة بلا استثناء فهجّر نحو خمسين ألف شخص، وثم توزيعهم في مناطق استرامادورا، وجليقية، وقشتالة القديمة، ومملكة ليون، ومناطق

---

(١) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ٢٥٢/١، وحركة المقاومة العربية الإسلامية، ص ٥٢.
(٢) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ٢٥٣/١.

إشبيلية وجيء بنحو خمسين ألف من الإسبان من تلك المناطق ووزعوا في منطقة غرناطة(١).

وعلى الرغم من كل محاولات القهر، والاستبداد التي مورست إزاء العرب في إسبانيا، فقد ظلوا قوة أدبية واجتماعية يخشى بأسها ولم يتركوا تراثهم الروحي القديم بل حافظوا عليه في سرائرهم، وكان يطلق على هؤلاء اسم الموريسكيين؛ لأن الموريسكيين هم العرب المسلمون الذين بقوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة(٢). أوهم المسلمون الذين أرغموا على التنصير(٣) وتحدوا دواوين محاكم التفتيش لكنهم دفعوا ثمن ذلك غالياً، فعاشوا في إرهاب مستمر، لأنهم في موضع شك دائم، فالشخص الأندلسي إذا استحم أو اغتسل فهو يمارس عادة عربية وطقساً إسلاميا محرماً، وإذا تكلم الأندلسي بالعربية أو ارتدى ملابسه القومية، أو أقام حفلا لختان ابنه، أو عرف عنه الامتناع عن أكل لحم الخنــزير، أو شرب الخمر، أو صلى باتجاه القبلة، أو ارتدى ثياباً نظيفة يوم الجمعة فهو مرتد عن دينه الجديد، ويجب معاقبته واضطهاده، وقد تصل العقوبات في كثير من الأحيان إلى الحرق علناً(٤) بالإضافة إلى السجن المؤبد، والمصادرة والعمل في السفن.

---

(١) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية، ص ٦٩.
(٢) ينظر: الإسلام تاريخ وحضارة ص ٢٥٤.
(٣) تاريخ العلم ودور العلماء العرب فيه ص ٢٠١.
(٤) حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص ٧٢.

وبعد أن أرغموا على اللغة القشتالية (الإسبانية) بقوا محتفظين بعروبتهم وعقيدتهم، وأنهم كانوا يزاولون شعائرهم الدينية خفية، ويكتبون تعاليمهم باللغة القشتالية المكتوبة بالأحرف العربية وهي التي تعرف بالألخاميادو أي الأعجمية(١)، وقد اتبعوا أسلوب الكتمان والاحتياط في ممارسة شعائرهم الدينية استناداً إلى فتاوى بعض الفقهاء وذلك للتمويه على الأعداء خشية انكشاف أمرهم والتعرض للتحقيق أمام دواوين محاكم التفتيش، ولم يتخل الأندلسيون مطلقاً عن أصلهم وعقيدتهم بعد نحو (١٢٣) عاماً على سقوط غرناطة على الرغم من أن محاكم داوين التفتيش كانت "تحرقهم لأنهم عرب"(٢).

وصارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على اعتبار أنهم نصارى ارتدوا عن النصرانية ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة(٣).

وفي عهد ا لملك فليب الثالث (١٠٠٧-١٠٣١هـ/١٥٩٨-١٦٢١م) جرى التخلص من العرب نهائياً، وبحثت الطريقة التي يمكن أن يتخلص بواسطتها من العرب نهائياً، فرأى كردينال طليطلة التقي الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش أن تقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً، ورأى الراهب "الدومينيكي بليدا" أن هذا لا يكفي وأشار بضرب

(١) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص ٧٣.
(٢) المرجع السابق ص ٧٤.
(٣) حضارة العرب ص ٢٧١.

رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي على دينه منهم، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصّر من العرب، فمن المستحب إذن قتل جميع العرب بحد السيف لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى، ويدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، وقد أيدت الكنيسة رأي "بليدا" غير أن الحكومة لم تأخذ به لما قد يبديه الضحايا من مقاومة(١)، ورأى الملك فليب طريقاً بين بين مقتصراً في سنة ١٦١٠م على إعلان طرد العرب ومصدراً أمره سراً بأن يذبح معظمهم قبل أن يتمكنوا من مغادرة أرض إسبانيا فأهلك نحو ثلاثة أرباعهم(٢).

وبعد صدور القرار النهائي بإبعاد العرب من الأندلس، بدأ مرسوم النفي المتعلق بعرب بلنسية في أيلول سنة ١٦٠٩م/ محرم ١٠١٨هـ تم تلته مراسيم أخرى عام ١٠١٩/١٦١٠م تتعلق بعرب مرسية وغرناطة وبيان وقرطبة وأشبيلية وأرغون ثم تتابعت المراسيم الأخرى في الأعوام اللاحـــقة حتى سنة ١٠٢٣هـــ/ ١٦١٧م(٣)، ثم تمت مباشرة التهجير بعرب بلنسية ثم توالى النفي للأندلسيين طيلة السنوات التالية حتى عام ١٠٢٣هـــ/١٦١٤م حيث هجرت آخر مجموعة من ميناء مالقة باتجاه مرسيليا في فرنسا، واستمرت السفن تحمل هؤلاء الأندلسيين المعذبين، وتلقى بهم في أماكن مختلفة من الثغور الإفريقية، والفرنسية وغيرها، وعانى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧١.
(٢) الإسلام والحضارة العربية ٢٥١/١.
(٣) حركة المقاومة العربية الإسلامية ص ٧٨.

عرب أرغون، في طريقهم إلى فرنسا الكثير من المتاعب وتوفى الكثير منهم، وذهب غالبية المبعدين الذين نجو من الموت إلى شمال إفريقيا، كما وصل جماعة منهم عن طريق الثغور الإيطالية أو فرنسا إلى مصر والشام والقسطنطينية(١).

وهذا أما أراده الملك فليب الثالث إذ قتل أكثر مهاجري العرب في الطريق وأبدى الراهب "بليدا" ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مئة ألف مهاجر من قافلة واحدة، كانت مؤلفة من مئة وأربعين ألف مهاجر مسلم، حينما كانت متجهة إلى إفريقيا(٢).

وقد استطاع بعض المهجرين الرجوع إلى إسبانيا لا سيما أولئك الذين لم يستطيعوا التأقلم في مهاجرهم الجديدة، فاتخذت ضدهم إجراءات قاسية، وأسروا ليعملوا عبيداً على سفن الملك، كما أرسلت النساء للخدمة في بيوت الإسبان واحتجز الأطفال دون سن السابعة في عهدة رجال الدين ليعيشوا على الإيمان الراسخ بالمسيحية(٣).

ويبدو أن بعض الأندلسيين قد أخذوا ليعملوا عبيداً في السفن أثناء اكتشاف الأمريكتين كما فعل بالأفارقة.

---

(١) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ص ٧٩-٨٠.
(٢) حضارة العرب ص ٧١.
(٣) ينظر: حركة المقاومة العربية الإسلامية ص ٨١.

ويقدر كثير من العلماء عدد المسلمين الذين نفتهم إسبانيا منذ سقوط غرناطة حتى الطرد الأخير في أوائل القرن السابع عشر بثلاثة ملايين(١).

وعلى الرغم من عسف وروع ورهبة محاكم التفتيش وبطشها فقد بقيت بقية قليلة في جنوب مملكة غرناطة لها مسجدها الصغير حتى عام ١٧٦٩م تحافظ ما استطاعت في قرارة نفسها على تراثها الإسلامي(٢).

ويبدو أن كثيراً من الأندلسيين عبروا البحر إلى أمريكا الجنوبية(٣) وخاصة عندما ضيق عليهم بألاّ يغادروا إلى شمال أفريقيا كما مر.

وتتبع الأندلس جزر البلئار وهي مجموعة جزر تقع في غربي البحر الأبيض المتوسط تمتد باتجاه ساحل بلاد الأندلس من الجنوب الغربي الشمال الشرقي بطول ٢٩٠كم، أقربها جزيرة يابسة لا تبعد عن الساحل أكثر من ٩٠كم وأبعدها مينورقة تبعد عن (برشلونة) في الأندلس ٢٠٠كم وأكبر هذه الجزر: ماجورقة ومينورقة ويابسة، وكانت جزر البلئار تتبع الأمبراطورية الرومانية البيزنطية، وقد فتحها عبد الله بن موسى بن نصير عام ٨٩هـ، وعندما قوى أمر الفرنجة في أوربا الغربية دانت لهم عام ١٣٧هـ، وفي عام

---

(١) ينظر: حضارة العرب ص ٢٧٢، والإسلام تاريخ وحضارة ص٢٦٢، والإسلام والحضارة العربية ٢٥٢/١.
(٢) ينظر: مصرع غرناطة ص ٨.
(٣) ينظر: دراسات في اللغة والأدب بالحضارة ص١٤٨.

١٨٢هـ غزا أمويو الأندلس جزيرة يابسة وفتحوها على حين بقيت ماجورقة ومينورقة تحت حكم الفرنجة ولكنها كانت تتعرض دائماً لغزو المسلمين حتى فتحها عصام الخولاني عام ٢٩١هـ وبقيت تحت حكم المسلمين حتى سنة ٦٨٦هـ عندما استولى عليها ملك أرغون، وأجلى عنها المسلمين(١).

وهكذا يتبين لنا أن الذي طرد العرب من الأندلس ليس الإسبان وحدهم؛ لأن الأندلسيين جزء منهم من أصول إسبانية وإنما الذي أخرج العرب من الأندلس هو أوربا الغربية الكاثوليكية إذ اشترك في حرب المسلمين نصارى الإسبان والألمان والإيطاليون والفرنسيون والإنجليز والسويسريون بل حتى ثورة غرناطة بعد سقوطها بمدة طويلة لم يستطع الإسبان القضاء عليها إلا بمشاركة بعض القواد من الأوربيين كما تقدم في ثورة البشرات.

---

(١) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٣٨-٣٩، وفي تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص٢٣-٢٦.

المبحث الثاني

صقلية وجنوبي إيطاليا

هذا هو المعبر الثاني الذي انتقلت منه علوم العرب إلى الغرب، وهو جزيرة صقلية، وجنوبي إيطاليا، وبعض الجزر المحيطة به.

فتح صقلية:

تكرر غزو المسلمين لجزيرة صقلية، منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، إلا أنه لم يتم فتحها والاستقرار بها إلا في عام ٢١٢هـ عندما غزاها بنو الأغلب، حكام تونس من قبل العباسيين، بقيادة الفقيه أسد بن الفرات، ولم يكن فتح الجزيرة سهلاً، إذ استغرق زمنا، ولكن أقدامهم رسخت بعد استيلائهم على بلرم عام ٢١٦هـ، واتخذوها قاعدة لهم، وقد دان معظم أهل الجزيرة بالإسلام، وظلت تحت حكم العرب إلى سنة ٤٨٤هـ، عندما استولى عليها النورمان[١] وتقدمت الزراعة تحت الحكم الإسلامي، وأدخل العرب إلى صقلية زراعة، قصب السكر، والقطن، والدردار، والزيتون، والليمون، والبرتقال والأرز، والبردي، والنخيل، وليس في أوربا بلد يزرع النخيل سوى صقلية[٢].

---

(١) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ١/٢٥٧، والمسلمون تحت السيطرة الرأسمالية، لمحمود شاكر ص ٢٧، ودراسات في اللغة والأدب والحضارة ص٢١٧.

(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٢/٤٨٦، ودراسات في اللغة والأدب والحضارة ص ٢٢١.

وحفروا فيها الترع والقنوات التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم، وأنشأوا فيها المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم(١)، وأدخل العرب إلى الجزيرة، الخيول العربية، التي طمست شهرتها الخيول المحلية، كما جاءوا إليها بالجمل ولكنه انقرض منها(٢).

وتقدمت الصناعة، في صقلية بفضل العرب، واستغل عرب صقلية ثروتها الطبيعية، واستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت والرخام والشب والكحل والزاج والرصاص والنوشادر(٣).

وأدخلوا صناعة الحرير، وأنشأوا في الجزيرة مصانع للورق، ومنها انتشرت صناعة الورق في إيطاليا، وانتعشت صناعة السفن والكتان وكان الكتان فيها لا نظيرة له جودة ورخصاً"(٤).

ونلاحظ أن هذه الألفاظ التي وضعها العرب للمزروعات والمصنوعات قد انتقلت عن طريق اللاتينية إلى اللغات الأوربية التي لم تكن موجودة في ذلك الزمن.

---

(١) ينظر: حضارة العرب ص٣١٠، أوربا العصور الوسطى ٢/٤٨٦، دراسات في اللغة والأدب والحضارة ص٢٢١.
(٢) الإسلام تاريخ وحضارة ص١٨٧.
(٣) ينظر: حضارة العرب ص٣١٩، وأوربا العصور الوسطى ٢/٤٨٦، والإسلام والحضارة العربية ١/٢٦٣.
(٤) ينظر: الإسلام تاريخ وحضارة ص١٨٧، والإسلام والحضارة العربية ١/٢٦٣.

ودان معظم أهل صقلية بالإسلام، وكثر سكانها، حتى قيل إن أهل واد واحد من أوديتها، وهو وادي مازر، بلغ سكانه ألفي ألف ساكن(١)، وقد استكثر المسلمون في صقلية من المساجد، إذ كان في بلرم نيف وثلاثمائة مسجد، وكثرت المساجد في أكثر المدن، مثل قطانية، وكان في قرية البيضاء مائة مسجد(٢)، ومع كثرة المساجد كثرة المعلمين، إذ يوجد في بلرم وحدها، ما لا يقل عن ثلاثمائة معلم(٣)، ولم يستطع النورمان، الاستيلاء على جزيرة صقلية، إلا بصعوبة وبزمن طويل، إذ استولوا على بلرم العاصمة سنة ٤٦٢هـ، ثم دانت لهم الجزيرة كاملة سنة ٤٨٤هـ(٤)، على أن الحضارة العربية لم تنته بانتهاء حكم المسلمين للجزيرة، وإنما وجدت هذه الحضارة، في ملوك النورمان، خير مشجع لها، ومن الواضح أن سبب حماية ملوك النورمان، لعرب صقلية، هو أنهم لمسوا تقدمهم في الفنون والعلوم والصناعات، وأدركوا أن تشجيع العرب في الجزيرة، سيعود عليهم بفوائد عظيمة، لذلك شمل روجر الأول (١٠٦١م-١١٠١م) العرب برعايته، وأحسن المحافظة عليهم وحمايتهم، بل كتب مراسيمه بالعربية، إلى جانب اللاتينية، واليونانية، وامتازت النقوش، التي سكها هذا الملك، بأن نصفها جاء مكتوباً عليه بالعربية، والنصف الآخر باللاتينية واليونانية، كما أن

---

(١) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ٢٦٧/١.
(٢) المرجع السابق ٢٦٥/١.
(٣) الإسلام تاريخ وحضارة ص١٨٧.
(٤) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٢٧.

بعض نقوده اشتمل على رمز الإسلام وبعض منها اشتمل على رمز المسيحية، وبعض آخر اشتمل على كلا الرمزين[١] ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل كان يوضع عليها أيضاً "لا إله إلا الله محمد رسول الله"[٢]، وقد سار خلفاء روجر على سنته، فاستعان روجر الثاني (١١٢٩-١١٥٤م) بعلماء من العرب كما درس وليم الثاني (١١٦٦-١١٨٤م) اللغة العربية، ورجع إلى مستشاريه من العرب في أهم شئونه، فكانوا يخلصون له ويساعدونه على إطفاء ما يقع من الفتن، ويوجد في نورمبرج رداء من الحرير، اعتاد أن يلبسه ملوك صقلية وهو مطرز بكتابات عربية كوفية الخط مع سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣م)[٣]، كذلك اتخذ ملوك النورمان بصقلية لأنفسهم حراساً من العرب، ارتدوا زيا اختلف عن زي حراسهم من النورمان، وكان هؤلاء الملوك يحسنون العربية ويطربون لشعرها، وكان فردريك الثاني، كثير العناية بالعربية وآدابها، وقد ضرب فيها بسهم وافر، وظلت اللغة العربية في الجزيرة اللغة الرسمية، وكان من العرب معلمون وأساتذة وعمال مهره[٤].

يقول المستشرق الكبير أماري: إنه لو زادت معرفتنا بالشعر الشعبي العربي في صقلية، لأصبح من المحتمل أن نكشف عن

---

(١) ينظر: حضارة العرب ص٣١٠.
(٢) الإسلام والحضارة العربية ١/٢٧٠.
(٣) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٢/٤٨٧، وشمس العرب تسطع على الغرب ص٤٠٩، وحضارة العرب ص٣١٠.
(٤) الإسلام والحضارة العربية ١/٢٦٩.

صلات وثيقه، بينه وبين الشعر الإيطالي القديم، الذي نشأ في أواخر العصور الوسطى، كذلك يقول: إن الباعث على ممارسة الشعر باللغة العامية في صقلية، هو علم أهلها بأخبار العرب وشعرائهم، وما كانوا يلقونه من تشجيع من الأمراء المسلمين. يؤيد هذا الرأي أن الشعر الشعبي المبكر في إيطاليا، يتفق في أوزانه مع الشعر الشعبي في إسبانيا، مما يدل على أن المؤثر واحد في الحالتين[١].

وقد نهج ملوك النورمان نهج العرب، وأعجبوا باللغة العربية، يظهر ذلك من خلال أنهم بنو قصوراً جديدة، على الطراز العربي، تتوسطها الحدائق الغناء، مزدانة بالنافورات، والزينات العربية، وأطلقوا عليها أسماء عربية، يتصدرها اسم الله، أو أمثال تلك الكلمات "بسم الله الرحمن الرحيم" "قف وانظر فسترى عملاً رائعاً يخص أحسن ملوك الأرض: فلهلم الثاني"[٢].

ومن شدة تأثير حضارة صقلية العربية، في أوربا قيل: "إن حضارة الغرب قد ولدت في صقلية بإشراف طبي عربي"[٣].

جنوبي إيطاليا:

بعد أن فتح المسلمون جزيرة صقلية، تطلعوا إلى فتح إيطاليا، والتي كانوا يطلقون عليها اسم "البر الطويل"، أو "الأرض

(١) أوربا العصور الوسطى ٢/٤٨٨، والإسلام والحضارة العربية ١/٢٧٢.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص٤١٢.
(٣) المرجع السابق ص٤٥٩.

الكبيرة"[١]، وقد حدث ذلك سنة ٢٢٣هـ، إذ أرسل أمير صقلية آنذاك، "أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله الأغلب"، أسطوله العتيد إلى بلاد "كالورية"، وزوده بالجند المدربين، فالتقى هذا الأسطول بالأسطول الإيطالي، وبعد معركة حامية، قدر الظفر للأسطول الإسلامي، وعلى إثرها، وطئت أقدام المسلمين للمرة الأولى الأرض الإيطالية[٢].

وفي عام ٢٢٤هـ فتح المسلمون مدينة برنديزي، وقد جاءها أسطول من مسلمي إكريت، أو من شمال إفريقيا، أو منهما معاً ثم فتحت "باري"، و"تارنتو"، وتكونت حكومة إسلامية، وكاد التوسع يتم ليشمل معظم إيطاليا، إذ كانت الغارات تتولى على "روما" و"نابولي" و"كمبانيا" و"بنفنتوم"، و"كابو" و"كالبرية"[٣].

وأهم هذه الغارات هي التي شنت على (روما)، فقد غزاها المسلمون مرتين: الأولى: عندما رسخت أقدام المسلمين في جنوب إيطاليا، واتخذوا مدينة "باري" عاصمة لهم، وربطوا إمارتهم في إيطاليا مباشرة ببلاط القيروان، ثم أخذوا يجهزون الجيوش البرية والبحرية، ويعدونها لفتح مدينة "روما"، وقد نفذوا خطتهم سنة ٨٤٦م حيث وقع الخطب الجلل، الذي تزلزلت له إيطاليا، وأوربا لوعة وأسى، ذلك أن الأسطول الإسلامي، المؤلف آنذاك من ثلاث وسبعين سفينة، كان قد أقلع من إفريقيا، وخاض عرض البحر،

(١) الإسلام والحضارة العربية ٢/٢٥٨.
(٢) دراسات في اللغة والأدب والحضارة ص٢٣٣.
(٣) المسلمون تحت الرأسمالية لمحمود شاكر ص ٤٢.

حتى وصل إلى مصب نهر (التيبر)، فاستولى على مدينة (أوستي)، ثم اجتاز جنده من البحارة النهر حتى أرسوا تحت جدران مدينة (روما)، ولما تألبت عليهم أساطيل الروم التي لا قبل لهم بمناجزتها، اكتفوا بالحصول على ما اغتنموه، من كنيستي القديس بطرس والقديس بولس، وهما خارج الأسوار، ورجعوا من أسوار (روما)، إلى محاصرة مدينة (كايت) ولم ينقذ هذه المدينة إلا العاصفة الهوجاء، التي أتلفت أغلب سفن هذا الأسطول[١].

والثانية: قام بها، وإلى صقلية (العباس بن الفضل بن يعقوب ابن فزارة) في سنة ٢٣٩هـ، إذ جهز أسطولاً ضخماً، يحمل الجند والعتاد، وسيره لإنجاز ذلك العمل، فنـزل الجند عند مصب نهر (التيبر)، واحتلوا مدينة (أوستى)، وأخذوا يستعدون للهجوم النهائي، فلما شرعوا في تنفيذ ذلك الهجوم، بدت لهم في الأفق طلائع أسطول العدو، وأدرك المسلمون أن لا قبل لهم بمقابلة هذا الأسطول، فآثروا الانسحاب وأخفقت الحملة الثانية على (روما)[٢].

وفي سنة ٢٣٨ أعلن (مفرج بن سلمان) عامل الأغالبة استقلاله، بالجنوب الإيطالي، متخذاً من مدينة (بارى) عاصمة له، فعمل على تقوية أسطوله البحري، الذي حمى شواطئه من ردة فعل أعدائه، ومضى يوسع إمارته، فاحتل مدينة (أوترنت) ومدينة

---

(١) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة ص٢٣٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٢٣٥.

(كالياري) وأسكنهما جاليات عربية، ووصلت جيوشه إلى مدينة (كابو)، ولكنه لم يتمكن من احتلالها[١].

وقد استمر الوجود العربي في جنوبي إيطاليا ما يقرب من مئة وسبعين سنة[٢]، وسبب توقف توسع المسلمين في إيطاليا هو وجود الخلاف بين العباسيين في المشرق، وعمالهم الأغالبة من جهة، وبين الأمويين في الأندلس، وزاد هذا الخلاف وجود الفاطميين، الذين حلوا محل الأغالبة وأصبحوا على خلاف شديد مع العباسيين، كما أنهم لا يلتقون أبداً مع الأمويين، لما بينهم وبينهما من خلاف عقيدي، وهذا ما جعل قوة المسلمين في البحر الأبيض المتوسطة ثلاثة أقسام، أسطول في المشرق يخضع للعباسيين، وآخر في الغرب يتحرك برأي الأمويين، وثالث في الوسط يتبع الفاطميين[٣]. هذا الانقسام، أوجد الضعف بين المسلمين، وفي الوقت نفسه شد من أزر النصارى، فقاموا بتشديد الضغط على المسلمين، فزالت دولتهم من جنوبي إيطاليا، واضطروا إلى مغادرة مواقعهم، ومن بقي منهم، أبيد أو أجبر على التنصر، ومع الزمن زال الإسلام، الذي كتم في القلوب عدة قرون[٤].

وقد سيطر المسلمون على جزيرتين كبيرتين تقعان غرب إيطاليا وشمال تونس تتبعان في العادة لإيطاليا أو لجنوبيها وهما:

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٥.
(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٢٣٦.
(٣) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٤٢.
(٤) المرجع السابق ص ٤٢.

١- سردانية (سردينيا):

وهي جزيرة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط، تقع إلى الشمال الغربي من جزيرة صقلية وبينهما ٢٨٠كم، وتقترب، من جزيرة كورسيكا في شمالها، حتى لا يفصلها عنها أكثر من ١٧ كم، ويبعد شمالها عن روما أكثر من ٢٥٠كم، وأقل من ٢٠٠كم عن شمالي تونس، وقد كانت تحت حكم البيزنطيين وقد كثرت عليها غارت المسلمين حتى فتحها بنو الأغلب منذ عام ١٩٤هـ، وبقيت تحت حكم المسلمين حتى سنة ٤٤٢هـ. إذ سيطرت عليها دولتا "بيزا" و"جنوه" الإيطاليتان، ثم خضعت لدولة أرغونة الإسبانية، والتي شملت فيما بعد جنوبي إيطاليا، وأخيراً غدت جزيرة سردانية تتبع جنوبي إيطاليا، ثم هي جزء من دولة إيطاليا.

ومنذ خضعت سردانية للحكم النصراني بدأ الاضطهاد يحيق بالمسلمين من كل جانب تلاه التهجير، وحرب الإبادة، حتى خلت الجزيرة من المسلمين نهائياً[١].

٢- كورسيكا (قورشقه):

وهي جزيرة كبيرة تبلغ مساحتها ما يقرب من ثلث مساحة جزيرة سردانية، التي تقع إلى الجنوب منها، لا يفصلها عنها سوى مصيق (بونيفاكيو)، الذي لا يزيد عرضه عن ١٧كم وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من فرنسا، وتتبعها، وتبعد عن سواحلها ١٦٠كم،

---

(١) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٣٥.

بينما تبعد عن سواحل إيطاليا نصف هذه المسافة، حكمها الأغالبة سنة ٢٩٧هـ، واستمر حكم المسلمين لها مدة قرن، كان أكثره نزاعاً على الحكم بينهم وبين النصارى، سواءً كانوا من البيزنطيين أو الفرنجة، ومع هذا فقد انتشر الإسلام في ربوعها، وأفاد السكان من حضارة المسلمين، وبخاصة وقت كانت أوربا لا تزال في مرحلة التأخر، ولما استقر وضع البيزنطيين في الجزيرة زال عنها المسلمون طوعاً أو كرها(١).

وهكذا تكون هذه الجزر معبراً استوطنته اللغة العربية زمناً وعبرت منه إلى اللغات الأوربية عن طريق اللاتينية.

أثر العرب والعربية في اللغة الإيطالية:

وهكذا نرى كيف أن العربية قد استوطنت جنوبي إيطاليا وجرز صقلية وسردينيا، وكورسيكا، ومكثت فيها قروناً وخاصة صقلية التي طال بقاء اللغة العربية فيها أكثر من غيرها، وبقيت العربية ما بقي الإسلام في تلك الديار، وأزاحت اللاتينية التي كانت لغة لهذه البلدان حيناً وأثرت فيها تأثيراً واضحاً، مما جعل ألفاظ العربية وأشعارها وأوزانها، تنتقل عن طريق اللاتينية إلى اللغات الأوربية الموجودة اليوم، ومنها الإيطالية التي هي في الأصل لهجة من لهجات اللاتينية التي أصبحت لغة مستقلة بعد تطور لهجات اللغة اللاتينية، إلى لغات في القرن السادس عشر الميلادي.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧.

ففي صقلية أبقى العرب كثيراً من عاداتهم التي لا زالت باقية إلى اليوم، وتركوا ألفاظاً كثيرة من لغتهم في اللغة الصقلية واللغة الإيطالية، ولا تزال عدة أماكن بصقلية، تحمل أسماء عربية، ولا سيما أسماء القلاع والمراسي، والشوارع، وتبدأ أسماء القلاع بلفظ (قلتا)، أي قلعة، ومنها ما أصبح اليوم مدنا، مثل:

قلعة النساء، وقلعة فيمي وقلعة الحسن، وقلعة البلوط. وكذلك كلمة مرسى، مثل: مرسى علي، مرسى المينا. وكلمة منـــزل، مثل: منـــزل الأمير، منـــزل يوسف. وكلمة رمل، مثل: رمل الموز، رمل السلطانة، رمل القنطرة، رمل وادي الطين. وكلمة رأس، مثل: رأس القلب، رأس الخنـــزير، رأس القرن[1].

وكان تأثير العرب بعلمهم في هذه الجزيرة أكثر من تأثيرهم بمبانيهم، يقول رينالدي: إن الجزء الأعظم من الكلمات العربية الباقية في الإيطالية التي تفوق الحصر دخلت الإيطالية لا بطريق الاستعمار العربي، بل بطريق المدنية التي كثيراً ما تؤلف بين مظاهر الحياة المختلفة وقد ذكر من هذه الكلمات جانباً، ولا سيما في لغة العلم. ثم أورد أسماء الموازين والمكاييل، والألفاظ البحرية التي سرت إلى الطليانية[2].

وفي جنوبي إيطاليا ترك العرب بعض الملامح الحضارية، فمن الأمثلة التي يستشهد بها في مجال العمران، ما تركوه من

---

(١) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ٢٧١/١.
(٢) المرجع السابق ٢٧٢/١.

الأبنية الأثرية في "ساليرنو" و"أمالفي" و"كانوسادي بوليا"(١). وفي مجال المعرفة "مدرسة" "ساليرنو" ورائدها قسطنطين الإفريقي، وسنذكرها في الفصل الثاني.

ومن أهم التأثيرات العربية على الحضارة الإيطالية نجدها في العناصر اللغوية التي دخلت اللغة الإيطالية، ولعل أبرز دراسة جادة ومنهجية لتأثير العربية على الإيطالية تلك التي قام بها العالم بللغريني، والتي أشارت إلى أن الألفاظ العربية، المتعلقة بالتجارة قد دخلت الإيطالية وتأصلت فيها منذ تلك الفترة [أي فترة استيلاء العرب على جنوبي إيطاليا فمن الأمثلة التي يشيع الاستشهاد فيها في هذا المجال ألفاظ مثل "دكان" وتلفظ (Dogan)، وتعني دار الجمارك، ومثلها (Magazzion) أي مخزن، و(Maona) أي معونه، التي تطورت دلالتها فأصبحت تعني (الشركة التجارية) كما دخلت ألفاظ عربية، فرضتها طبيعة الاستعمال اليومي مثل كلمة (الزير Ziro) بمعنى الجرة الكبيرة، والجرة الصغيرة تسمى في الإيطالية (Jiara) والغرافة ينطقونها (Garaffa)، كما تسربت إلى الإيطالية مجموعة ألفاظ تتعلق، بالألبسة والثياب مثل الجبة تلفظ (Giubba) ومثل القفطان تلفظ في الإيطالية (Caffatanuk)(٢).

واستعارت الإيطالية كثيراً من الكلمات العربية، وخاصة تلك الكلمات التي تنمى إلى العلوم التي برز فيها العرب، في تلك الفترة

(١) دراسات في اللغة والأدب والحضارة ٢٣٦.
(٢) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة ص ٣٣٧.

كعلم الفلك والنجوم، وعلم الرياضيات وعلم الكيمياء، وأساليب الفن والفلسفة وغيرها وهذا مما تشترك فيه الإيطالية وغيرها من اللغات الأوربية، الموجودة اليوم؛ لأن هذه الألفاظ قد جاءت عن طريق اللاتينية التي كانت لغة العلم في أوربا، عندما نقلت العلوم من العربية إلى اللاتينية، ثم بدورها انتقلت إلى اللغات الأوربية، وسنبين ذلك في الفصل الثاني فيما بعد: ويضاف إلى هذا ما يتعلق بشمالي إيطاليا الذي سيمر في المبحث الثالث؛ لأن العربية دخلت إيطاليا عن طريق الجنوب وعن طريق الشمال.

تنصير بقايا الصقليين:

كانت جزر البحر الأبيض المتوسط عامرة بالإسلام، ولأهلها حضارة ومدنية، آثارها واضحة، وقد كانوا أهل تسامح وعدل مع النصارى، الذي بقوا في بلادهم، وجاوروا المسلمين في ديارهم.

فمن تسامح العرب -أيام كانوا سادة للجزيرة- بالحرية الدينية وبمراعاة التقاليد الصقلية ما رواه الأب (موروكولي) من أنه كانت تنصب في الحفلات العامة، في مدينة (مسّينة) رايتان:

إحداهما إسلامية، وعليها صورة برج أسود في حقل أخضر، والأخرى نصرانية وعليها صورة صليب مذّهب في حقل أحمر، ولم يمسّ العرب الكنائس التي كانت قائمة بأذى(١).

---

(١) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة ص ٢٢١، وحضارة العرب ص ٣١٠.

فلما ضعف شأن المسلمين، وآل أمر الحكم إلى النصارى، أفادوا من حضارة المسلمين، وسخروهم في شئوون دولتهم، وكانوا لا يزالون يخافون قوة المسلمين وإمكانية عودتهم، وسيطرتهم، فلما استقر لهم الأمر وأطمأنوا على حالهم وأخذوا وتعلموا ما يريدون من المسلمين، نكلوا بهم، وأجبروهم على اعتناق النصرانية ديناً ومن نجاه الله وعصمه فرّ والتجأ إلى بلاد المسلمين، حتى خلت تلك الجزر من المسلمين نهائياً، ولاشك أن الكثير قد أظهر الكفر وكتم الإيمان إلا أن أبناءه وأحفاده قد ضعف عندهم ما يبطنون مع الزمن حتى زالوا نهائيـــاً(١).

وهذا ما حصل لمسلمي صقلية، فقد استفاد منهم ملوك النورمان، وعندما استولى ملك السواب على الجزيرة (١١٩٤/ ١١٩٧م) بدأ اضطهاد المسلمين اضطهاداً شديداً، يذكر بما لقوه في إسبانيا، فهاجر أولوف إلى إفريقية ولا سيما سواحلها، ومن تخلف منهم كان مستعبداً استعباداً حقيقياً، يزرع الأرض، ويرعى الماشية، ويعمل الأعمال الشاقة في أملاك الملك(٢).

وعندما تولى الأمبراطور "فردريك الثاني" (١١٩٧-١٢٥٠م) استنفد ما عندهم وكافأهم في آخر عهده بالتنكيل، وطاردهم بكل أنواع التعذيب الذي كان بعضه الحرق والصلب، واستمرت حملة التعذيب هذه أربع سنوات، جعلت العرب يهجرون الجزيرة إلى

---

(١) حضارة العرب ص٣١٠
(٢) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٧١.

إيطاليا وشمالي إفريقية، ثم جاء الملك شارل دانجــو (١٢٦٦-١٢٨٥م) فأكمل مهمة تهجير العرب، وطردهم لا من صقلية فحسب وإنما من جنوبي إيطاليا، ومن جزيرة (مالطة) أيضاً[١].

ثم يُختتم التنكيل بالعرب بمجيء الملك شارل الثاني (١٢٨٥-١٣٠٧م) الذي حمل العرب المتبقين على التنصر، يقول "رينالدي": إن التعصب الديني لم يتأخر لحظة واحدة عن الظهور بعد زوال ملك المسلمين من صقلية، فاضطر المسلمون أن ينتحلوا النصرانية، فاختلطوا بطبقة الشعب، وهذا ما وقع لمدينة لوشيرا (لوجاره)، فقد سمح لهم شارل الثاني بالبقاء في ملكه على أن يتنصروا، وعرف أولادهم بعدهم باسم مرانه (Marrani)، وهي كلمة عربية أخذها الطليان عن الإسبان، وكانوا يلقبون بها المسلمين، الذين دانوا بالنصرانية في الأندلس، وكذلك كانت مدينة "لوشيرا" مدينة إسلامية محضة، حتى إن كلمة (Lucerini) سكان "لوشيرا" كانت تؤدي معنى الشرقيين أو المسلمين[٢].

بقاء العربية في صقلية إلى أواخر القرن التاسع الهجري:

ذكر المؤرخ الإيطالي الصقلي "أماري": أن الآثار التي وجدت في المقابر وغيرها تفيد أن اللغة العربية بقيت شائعة في الجزيرة إلى أواخر القرن التاسع للهجرة، يؤيد ذلك شواهد القبور التي عثر عليها حديثاً علماء العاديات، فقد وجدت قبرية باسم القائد الأجل أبي

---

(١) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة ص ٢١٨.
(٢) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ١/٢٧٠.

نصر بن القائد أبي المسرور الجالخيري من سنة ٨٧٣هـ، وشاهدة لآخر اسمه القسنطيني القاضي من سنة ٨٩٤هـ، وثالثه من سنة ٨٥٩، وشواهد كثيرة من القرن السادس والسابع من الهجرة، وأغربها قبرية نصرانية كتبت بالعربية، بعد خروج العرب من الجزيرة بستين سنة، استعمل فيها التاريخ الهجري وهي "توفيت أنّة" أم القسيس "اكريزنت" قسيس الحضرة المالكة الملكية العالية العلية المعظمة السنية القديسة البهية المعتزة بالله الملزوزة بقدرته المنصورة بقوته مالكة ينطالية ولنكبردة وقلورية وصقلية وإفريقية معزة إمام رومية الناصرة للملة النصرانية صرمد الله مملكتها يوم الجمعة والعشر العشرين من أوسة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ودفنت بالجامع الأعظم ثم نقلها ولدها بالمسجد إلى هذه الكنيسة "صنت مخايله" يوم أول ساعة العشاء: العشرين مائة سنة – أربع وأربعين وخمسمائة وبنى على قبرها هذه الكنيسة وسماها "صنت أنّه" على اسم أمه "مر" يم ... ودعا لها بالرحمة آمين آمين آمين"[١].

فالكتابات التي وجدت على القبور في القرن السادس الهجري تكون في زمن النورمان الذي كانت فيه العربية فاشية بين السكان، ولكن الكتابات التي وجدت في أواخر القرن التاسع الهجري والتي تعاصر طرد العرب من الأندلس فهي تشير إلى أن العرب الذين أكرهو على التنصر – ويسمون "مرانة" في صقلية، كما كانوا

(١) المرجع السابق ١/٢٧٤.

يسمون "موريسكين" في إسبانيا- لازالوا يستعملون العربية وقد عرفنا الزمن الذي منع فيه "الموريسكيون" من التحدث بالعربية في إسبانيا، وأجبروا فيه على التحدث بالقشتالية (الإسبانية) ولكننا لا نعرف متى منع العرب في صقلية من التحدث بالعربية وإجبارهم على استعمال الإيطالية ولكن هذا سيكون بعد القرن التاسع.

المبحث الثالث

جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا

هذا هو المعبر الثالث الذي عبرت منه اللغة العربية عن طريق اللاتينية إلى اللغات الأوربية والذي فيه يتبين أن اللغة العربية قد استوطنت أرضاً أصبحت اليوم تستوطنها اللغات الإيطالية والفرنسية والألمانية بعد موت اللاتينية وتحول لهجاتها إلى لغات.

ومعروف أن اللغة العربية مرتبطة بالإسلام وانتشارها مرتبط بالفتوحات الإسلامية وبانتشار الإسلام، فلما وصل المسلمون إلى تلك البقاع وصلت معهم لغتهم العربية.

وذلك أن موسى بن نصير بعد أن فتح الأندلس ووصل إلى جبال البرانس، التي تفصل الأندلس عن بلاد فرنسا، رغب في متابعة الفتوح في أوربا، والوصول إلى القسطنطينية عن طريق الغرب، وهذا ما جعل الخليفة في دمشق يستدعيه خوفاً من أن ينـــزل بالمسلمين منـــزلاً صعباً.

رحل موسى بن نصير عن الأندلس، إلا أن رحيله لم يمنع غزو فرنسا، إذ تابعه ابنه عبد العزيز الذي تولى أمر البلاد بعد سفر أبيه وذلك عام ٩٤هـ، ثم الحر ابن عبد الرحمن عام ٩٩هـ، ثم السمح بن مالك الخولاني، الذي تولى ولاية الأندلس أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله، إذ فتح ولاية سبتمانية، وهي تعني المدن السبع، وهي: "أربونة"، و"نيم"، و"أقد"، و"لوديف"، و"قرقشونة"،

و"ماقلونة"[١]، وكانت حاضرتها مدينة "أربونة"، ودخل "بروفانس"، وحاصر "طلوشة" واستشهد السمح وهو يقاتل الفرنجة.

وتولى حكم الأندلس عام ١٠٣هـ، عنبسة بن سحيم الكلبي، فعاود الفتح فدخل مدينة "ليون"، واستولى على حوض نهر الرون، وأصبح على مقربة من نهر السين واستشهد في القتال. وعاد الفتح في فرنسا أيام عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، الذي تولى أمر الأندلس وعام ١١٢هـ، فدخل حوض نهر "الرون" ومنطقة الغارون، إذ استولى على مدينة "بردال" (بوردو) حاضرة المنطقة، وقصد مدينة "تور" فدخلها، ثم وقعت بالقرب من "بواتيه" المعركة، التي هزم فيها المسلمون، والتي عرفت باسم (بلاط الشهداء) عام ١١٤هـ، واستشهد عبد الرحمن في ميدان المعركة[٢].

وعندما تولى أمر الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، عاد الجهاد، إذ عرف عقبة بالشجاعة وحب الغزو، ونجح في تثبيت أقدام المسلمين، في مقاطعة "بروفانس" واستولى على كثير من المدن في ناحية "الدوفينية" وعاود فتح إقليم "بورجانديا" واستعاد مدينة "ليون"، كما وصل نفوذ المسلمين إلى "البيمونت" في إيطاليا، وتوفي عقبة بن الحجاج عام ١٢٣هـ، فخلفه عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، وقد دعم نفوذ المسلمين في جنوبي فرنسا، وبقيت "أربونة" بيد المسلمين حتى عام ١٤٢هـ، ولكنهم عادوا فدخلوها

---

(١) تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص ٥١.
(٢) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٤٩.

عام ١٧٢هـ[١]، إضافة إلى أنهم ثبتوا أقدامهم، في إقليم "بروفانس" عن طريق الغزو البحري عام ٢٨٥هـ، إذ نزل المسلمون على سواحل "بروفانس" جنوبي فرنسا، لما وجدوا مكاناً مناسباً لهم، حيث توجد غابات تحميهم، إذا اضطروا إلى اللجوء إليها، والبحر قريب منهم يستطيعون بواسطته الحصول على المعونة والمدد، فهو تحت سيطرة المسلمين، وأساطيلهم تمخر عبابه ذاهبة وآيبة، وكان نزولهم في منطقة بين مدينتي "مرسيليا" و"نيس" وعندما استقروا هناك، أرسلوا إلى إخوانهم في الأندلس وإفريقية، يطلبون القدوم إليهم للعمل هناك، وإعمار تلك الجهات، ولم تمض سنوات حتى كثرت الحصون الإسلامية، ويسمى العرب الجبل الذي أقيمت عليه حصونهم جبل (القلال)، كما يعرف باسم (فركسيناتوم)، ولهذا عرفت دولتهم باسم (الفركسينية) كما عرفت الغابة باسم غابة المواري أي العرب[٢].

ومن قلعة (فركسينتوم) بجنوبي فرنسا، قاموا بغزواتهم في البلاد والأقاليم المجاورة حتى أصبحوا سادة منطقة جبال الألب، والحدود بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا[٣]، وفي عام ٢٩٤هـ، وصل المسلمون إلى البيمونت، في وادي (سوزا) غربي (تورينو)، وهذا الوادي يتجه شرقاً إلى مدينة تورينو، كما تقدموا شمالاً حتى الأودية السويسرية، كما اتجهوا شرقاً وأقاموا في مدينة (نيس)،

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩.
(٢) المرجع السابق ص ٤٤.
(٣) ينظر: الإسلام تاريخ وحضارة ص ١٦٩.

ووصلوا إلى سواحل خليج (جنوه) كما استولوا على مدينة (غرينوبل) عام ٣٤٣هـ[١].

ومن ممرات الألب هاجموا سويسرا، فوصلوا إلى شواطئ بحيرة جنيف عام ٣٢٥هـ[٢]، بل وصلوا إلى بحيرة "كونستانس"، يقول "أشكيب أرسلان": "وكان المسلمون يجولون في جميع أنحاء سويسرة بلا معارضة كأنهم في دياراتهم وقد تقدموا إلى أن صاروا على أبواب مدينة سانغال وعلى ضفاف بحيرة "كونستنــز"[٣].

واستمر وجود المسلمين في تلك الجهات حتى عام ٣٦٥هـ، حيث سقط آخر معاقلهم وهو حصين "فركسينت" بيد النصارى، وهكذا بقي المسلمون هناك ما ينوف على الثمانين عاماً.

وقد استولى المسلمون بالتدريج على نصف فرنسا الحاضرة، يبدأ من ضفاف "نهر اللوار" وينتهي إلى مقاطعة "فرنش كونته"[٤].

وقد سيطر المسلمون على قسم كبير من وسط أوربا يمتد من شاطئ نيس حتى بحيرة "كونستانس" ومن الرون إلى جبال الجورة ولمباردية[٥]، وهذا يشمل شمالي إيطاليا وسويسرا وجزءاً من ألمانيا.

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٤٥.
(٢) الإسلام تاريخ وحضارة ص ١٦٩.
(٣) تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص ١٧٦.
(٤) حضارة العرب ص ٣١٣.
(٥) الإسلام تاريخ وحضارة ص ١٧٠.

وكان المسلمون يريدون الاستقرار في البلاد التي فتحوها، ونشر الإسلام، ولهذا ضحوا بالكثير في سبيل ذلك، ولم يكن همهم الغزو والسلب والنهب، كما يصفهم الغربيون.

وبقاء العرب أكثر من مئتي سنة في جنوب فرنسا ومنطقة بروفانس التي هي الآن بين فرنسا وإيطاليا، وجبال الألب له أثر كبير عميق في الدين واللغة والدم.

ففي الدين قد دخلت أعداد كبيرة من النصارى في الإسلام طوعاً ورغبة، ولكن عند القضاء على الحكام المسلمين، في تلك الديار، في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، أجبر المسلمون على إظهار النصرانية دينا لهم، ومع الزمن، فقد ذابوا في المجتمع النصراني، ونسوا دينهم الحقيقي، ومن رفض التنصر أبيد أو هجّر كرها(١).

وفي اللغة يقول "غوستاف لوبون": "إن اللغة العربية ذات أثر عميق في اللغات اللاتينية، وتركت لغة العرب، أثراً مهماً في فرنسا نفسها، وذكر سيديّو والحق ما ذكره أن اللهجات السائدة لولاية أوفرن، وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية، وأن أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربية"(٢).

---

(١) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٥٠، وتاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص ٢٢٧، ٢٢٩.

(٢) حضارة العرب ص ٤٤١.

وقال هذا المؤلف "أي سيديّو": "ومن الطبيعي أن تقتبس فرنسة وإيطالية من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن للميلاد أكثر الاصطلاحات البحرية، وأن تقتبس جيوشهما ألقاب ضباط جيوش المسلمين، وتعابير وغى الحرب، واستعمال بارود المدافع والقنابل والحرّاقات، وأن تأخذ من حكومة بغداد، وحكومة قرطبة، التعابير الإدارية، وأن يقلد ملوك الأسرة الثالثة الفرنسية العرب في شيء، فيأخذوا عنهم معظم مصطلحات الصيد، وأهم من ذلك كله اصطلاحات العلوم التي اقتبسناها عن العرب فعلم الفلك عندنا مملوء بالتعابير العربية وبالاصطلاحات العربية لأجزاء الاسطرلاب، وبأسماء الكواكب، وقل مثل ذلك عن الرياضيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والطب"(١).

ثم ذكر أمثلة لهذه المصطلحات، ولكن هذه الأمثلة أو الألفاظ هو مما تشترك فيه اللغات الأوربية؛ لأنه جاءها عن طريق اللاتينية وهو ما سوف نبينه في الفصل الثاني فيما بعد.

ولا تزال أسماء بعض المواقع تدل على الأصل العربي، فكلمة (غاب) وهي مدينة مركز مقاطعة الألب العليا، والوادي الأوسط Aoste وهو الذي يقع شمالي إيطاليا جنوب الحدود السويسرية، ثم يتجه ليصب في نهر (البو) شرق (ترينو) ويبدأ من الجبل الأبيض، عند الحدود الفرنسية الإيطالية على ارتفاع ٤٨٠٧م فوق سطح البحر، وكان المسلمون يسمون هذا الجبل باسم

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤١.

(المشتري)[١] كما وجدت أسماء عربية، لبعض المواقع في منطقة فالة، بجبال الألب، وخاصة في وادي زاس وهي: الماجل، وعلى العين، والعين، ومشابل[٢].

كما نجد أن أهالي بروفنس لا يقولون للقطران غودرون Goudron كما يقول سائر الفرنسيين بل يقولون قطـــران Quitran[٣].

ويقول "غوستاف لوبون" عن وجود الدم العربي: "وأنه وجد حفدة للعرب في أماكن كثيرة من بلاد فرنسا، كالمقاطعات: كروز والألب الأعلى ومونتمور (جبل المغاربة) وبنيو (شارانت) وبعض قرى "لاندوروسيون" و"لنغدوكة" و"بيارن"، كما أثبت ذلك علم وصف الإنسان فيمكن الإنسان أن يعرفهم بجلودهم السمر وشعورهم السود وأنوفهم القنو، وعيونهم الثاقبة اللامعة، ويمكن المرء أن يعرف نساءهم بألوانهن الزيتية ووجوههن الأسيلة وأعينهن النجل الدعج وحواجبهن الزج وصدورهن الناهدة..."[٤].

ثم يعلل سبب بقاء الدم العربي بقوله: "وإذا كانت هذه الصفات باقية فلم تمّح بغرقها في صفات السكان المجاورين فلأن حفدة العرب أولئك ألفوا جماعات صغيرة منفصلة عن بقية الأهلين غير

(١) ينظر: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص١٧٤، والمسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٤٥.
(٢) تاريخ غزوات العرب ص ٢٦٤.
(٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.
(٤) حضارة العرب ص ٣١٨.

متصلة بهم بصلات التوالد[١]، ويقول أشكيب أرسلان: في فرنسا ولا سيما المقاطعات الجنوبية منها عائلات كثيرة معروفة بأنها من سلالة السرازين أي المسلمين، ومنها ما تدل سحناؤهم إلى اليوم على العروبة وفي نفس سويسرة عائلات ملقبة بالسرازين في جنيف وفي بازل[٢].

وفي شمال إيطاليا نشأ الشاعر الإيطالي "دانتي" صاحب الكوميديا الإلهية وفي جنوب فرنسا وجد الشعر الغنائي المعروف بالتروبادور[٣]. وسنبين ذلك في الفصل الثالث.

---

(١) المرجع السابق ص٣١٨.
(٢) ينظر: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص١٧٤، والمسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٢٢٨.
(٣) ينظر: شعراء التروبادور، لمريم البغدادي ص ١٨.

الفصل الثاني

مدرسة طليطلة والترجمة من العربية إلى اللاتينية

يعتبر سقوط طليطلة في أيدي النصارى سنة ٤٧٨هـ-١٠٨٥م بالنسبة للمسلمين مصاباً جللاً، هزهم هزاً عنيفاً، وصدمة انتابتهم بسببها المخاوف؛ لأنهم خسروا معقلاً من أعظم معاقلهم في الأندلس، وكان لهذا السقوط دوى هائل في جميع أنحاء العالم المسيحي.

ويعتبر سقوط طليطلة حدثاً تاريخياً مهماً لما يلي:

١- استعادة العاصمة الأولى للنصارى، قبل الفتح الإسلامي، وهي "طليطلة" وهذا مهم في نفوس المحاربين وهو يعني استعادة إسبانيا.

٢- ذهاب خوف النصارى من المسلمين يقول "وليام مونتجومري": "إن موقف أوربا الغربية من العرب كان يشتمل على عنصرين متناقضين: الخوف الشديد من ناحية، والإعجاب الممزوج بالاعتراف بتفوق العرب من ناحية أخرى، أمّا الخوف فقد هدأ بشكل ملحوظ بالاستيلاء على طليطلة"(١). ثم ذكر أن الإعجاب جعلهم يقبلون على الترجمة من العربية.

٣- نجاح التجربة الأوربية الغربية وهي الحرب الجماعية إذ اشترك في إسقاط طليطلة الألمان والإيطاليون والفرنسيون بالإضافة

---

(١) أثر الإسلام في أوربا القرون الوسطى ص ٩١.

إلى نصارى شمال الأندلس(١)، وكررت هذه التجربة في الاستيلاء على "لشبونة" إذا اشترك فيها الإنجليز والفرنسيون والألمان(٢)، وحصل مثل ذلك في الاستيلاء على "غرناطة" ويبدو أن هذه التجربة أصبحت مطبقة من بعد الاستيلاء على طليطلة حتى اليـــوم.

٤- بعد سقوط طليطلة تجرأت أوربا الغربية على غزو المسلمين في عقردارهم فاكتمل الاستيلاء على صقلية عام ١٠٩١م وبدأت أولى الحروب الصلبية عام ١٠٩٦م.

٥- سقوط طليطلة يعتبر بداية النهضة الأوربية في القرن الثاني عشر، إذ نجد المؤرخين يقولون في تعريف هذه النهضة مع تحديد بدايتها ونهايتها: "يقصد بنهضة القرن الثاني عشر التغيرات الحضارية والتطورات الفكرية التي تعرضت لها أوربا فيما بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثالث عشر"(٣).

وهذا يعني ما بين سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ-١٠٨٥م، وسقوط قرطبة عام ٦٣٣هـ-١٢٣٦م.

وهو عصر نقل العلوم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، وهو عصر الترجمة، وذلك لكثرة الكنوز العلمية التي حصل عليها النصارى في تلك الفترة، والتي امتدت آثارها إلى النهضة الأوربية

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٥٣٢.
(٢) المرجع السابق ص ٥٣٢.
(٣) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٩١/٢.

الحديثة، وهذا هو الذي يهمنا في هذا البحث؛ لأن ترجمة العلوم من العربية إلى اللاتينية، ترتب عليه انتقال كثير من ألفاظ اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، وعندما ماتت اللاتينية انتقلت الألفاظ العربية إلى اللغات الأوربية الموجودة اليوم، والتي أصبحت وريثا للغة اللاتينية منذ القرن السادس عشر.

فباستيلاء المسيحيين على طليطلة عام ١٠٨٥م وسرقسطة عام ١١١٨م جعلهم يعثرون على مئات المراجع العربية، في مختلف العلوم والفنون، وكلما ازداد توسع المسيحيين في إسبانيا اكتشفوا كنوزاً جديدة من الكتب العربية[١] لأن مدن الأندلس مزدحمة بالمؤلفات العربية في العلوم والفلسفة وغيرهما[٢] مما أتاح لأوربا مورداً عذباً استساغت شرابه، فظلت تنهل منه، منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر[٣].

وللاستفادة من المجموعات الهائلة من المؤلفات العربية، أسس المطران ريموند رئيس أساقفة طليطلة عام ١١٣٠م، مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية[٤] وكانت هذه المدرسة، تضم عدداً كبيراً من العلماء، من مسلمين ومستعربين ويهود[٥]، وقد قام

(١) المرجع السابق ٢/١٠٠.
(٢) المرجع السابق ٢/٤١٦.
(٣) المرجع السابق ٢/٤٨٨.
(٤) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب ص٥٣٢، وتاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص٢٦، وحضارة العرب ص ٥٦٧، والاستشراق، للدكتور محمود حمدي ص ٢٤.
(٥) ينظر: التاريخي الإسلامي، للدكتور جمال الدين الشيال ص ٢٤.

"ريموند" بحماية هؤلاء العلماء، ورعايتهم والحدب عليهم، وتشجيعهم على الاستمرار في جهودهم، القائمة على الترجمة عن العربية، وبذلت هذه المدرسة جهوداً ضخمة لترجمة العلوم العربية(١) مما جعل كثيراً من طلاب المعرفة يتجهون إلى طليطلة، للتزود من الدراسات العربية الإسلامية، سواء كانت خالصة، أو مترجمة عن اليونانية، حتى أصبحت طليطلة، بالذات المركز الرئيسي لحركة الترجمة عن العربية(٢)، وأصبح الأوربيون أمام معين لا ينضب من المؤلفات العربية، في شتى العلوم والفنون، فأقبلوا يرتشفون من ذلك المعين بأية طريقة، ومن أي مكان يعثرون فيه عن ضالتهم(٣) فهرع علماء الغرب وطلابه إلى إسبانيا، ليترجموا علوم العرب وكتبهم ويرووا ظمأهم من ذلك المنهل الصافي(٤) وازداد تدفق طلاب العلم من مختلف بلاد غرب أوربا على إسبانيا، للاستزادة من الدراسات الإسلامية، فنشطت حركة الترجمة عن العربية، نشاطاً منقطع النظير، واستمرت حتى القرن الخامس عشر، فترجم كثير من مؤلفات العرب في مختلف العلوم والفنون، كما ترجمت عن العربية بعض مؤلفات اليونانيين مثل: كتب جالينوس، وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وإقليدس

---

(١) المرجع السابق ص ٢١.
(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٤١٦/٢.
(٣) المرجع السابق ٤٩١/٢.
(٤) المرجع السابق ١٠٠/٢.

وغيرهم، وانصرف الأوربيون إلى دراسة علوم العرب في شراهة بالغة وحماسة كبيرة[١].

وقد ترتب على حركة الترجمة من العربية ثورة علمية وفكرية شاملة، في غرب أوربا ذلك أن المعارف الجديدة التي نقلت من العربية إلى اللاتينية، جعلت الأوربيين يفيقون من الظلمة والجهالة التي عاشوا فيها قروناً طويلة، ويقبلون على الدراسات العلمية الجديدة في شغف ونهم[٢].

فنقلت العلوم من العربية إلى اللاتينية، وأصبحت تدرس في الجامعات الأوربية لقرون عديدة، وعلى هذه العلوم بنت أوربا نهضتها الحديثة، يبين ذلك "غوستاف لوبون" بقوله: "ولم يظهر في أوربة قبل القرن الخامس عشر من الميلاد عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب، وعلى كتب العرب عَوّل "روجر بيكن" و"ليونارد البيزي" و"أرنود الفيلنوفي"، و"ريمون لول"، و"سان توما"، و"ألبرت الكبير"، و"الأذفونش" العاشر القشتالي، قال مسيورينان: "إن البرت الكبير مدين لابن سينا في كل شيء، وإن "سان توما" مدين في جميع فلسفته لابن رشد، وظلت ترجمات كتب العرب ولاسيما الكتب العلمية مصدراً وحيداً تقريباً للتدريس في جامعات أوربة خمسة قرون أو ستة قرون"[٣] ثم بين مدى سيطرة العلوم

(١) ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب ص٥٣٢، وأوربا العصور الوسطى٢/٤٩٠، ٤٩١.
(٢) أوربا العصور الوسطى ٢/٤١٧.
(٣) حضارة العرب ص٥٦٩.

العربية على الأوربيين بإراده لاحتجاج الشاعر الإيطالي بترارك إذ يقول: "ويمكن القاريء أن يتمثل سعة نفوذ العرب من الاحتجاج الصاخب الآتي الذي قاله الشاعر الكبير بترارك: "يا عجبا استطاع "شيشرون" أن يكون خطيبا بعد "ديموستين"، واستطاع فرجيل أن يكون شاعراً بعد "أوميرس"، فهل قدّر علينا ألاّ نؤلف بعد العرب؟ لقد تساوينا نحن والأغارقة، وجميع الشعوب، غالباً وسبقناها أحياناً، خلا العرب؟ فيا للحماقة؟ ويا للضلال؟ ويا لعبقرية إيطالية الناعسة أو الخامدة"[1]، وهذا يعني أن الشاعر اطلع على التراث العربي الإسلامي وهاله عظمة هذا التراث. وبترارك من المتعصبين[2] الذين يريدون إرجاع الحضارة الأوربية إلى العصر الروماني دون المرور بثمانية قرون من الحضارة العربية بالأندلس، ورأيه هذا هو المشهور اليوم الموجود في الكتب التي تؤرخ للحضارة إذ لا يذكر العصر الإسلامي.

ويضاف إلى مدرسة طليطلة مدرستا "سالرنو" بنابولي في جنوب إيطاليا و"بلرم" في صقلية[3] اللتان كان لهما دور بارز في الترجمة من العربية إلى اللاتينية إلا أنه لا يقارن بمدرسة طليطلة لأنها كانت لجميع الأوربيين.

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦٩.
(٢) ينظر: التراث والحضارة الإسلامية ص ١٧٧.
(٣) ينظر: التراث والحضارة الإسلامية ص ١٠٥، ١٠٧، وتاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص٢٧، وشمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٠٣، وفصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٢٤٢.

وممن أسهم في حركة النقل والترجمة من العربية إلى اللاتينية "جرارد الكريموني" الإيطالي الذي نقل وحده إلى اللاتينية أكثر من سبعين كتاباً(١)، ويوحنا الإشبيلي(٢) و"البير الكبير" الألماني، و"روجربيكون" الإنجليزي(٣)، وقسطنطين الإفريقي(٤)، وفراج بن سالم اليهودي(٥)، و"ميخائيل سكوت"، و"هرمان" الألماني(٦)، و"أديلارد الباثي" الإنجليزي(٧).

ومن المؤلفات العربية التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية، ومنها انتقلت إلى اللغات الأوربية: كتاب الحاوي وكتاب الأسرار، وكتاب المنصوري، وكتاب الجدري والحصبة للرازي، والملكي لعلي بن العباس، وتذكرة الكحالين لعلي بن عيسى(٨)، وكتاب المدخل إلى هيئة الأفلاك(٩)، وكتاب جوامع علم النجوم وأصول الحركات السماوية(١٠) للفرغاني، وزاد المسافر لابن الجزار(١١)، والتصريف

---

(١) ينظر: الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة ص ٦٣، وتاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص١٩.
(٢) ينظر: الحضارة العربية ص ٦١.
(٣) ينظر: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص٢٤.
(٤) ينظر: التراث والحضارة الإسلامية ص ١٠٥.
(٥) المرجع السابق ص ١٠٧.
(٦) ينظر: الحضارة العربية ص ٥٩.
(٧) ينظر: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٣٧.
(٨) الحضارة العربية طابعها ومقوماتها ص٥٧-٥٩.
(٩) المرجع السابق، ص ٥٩.
(١٠) التراث والحضارة الإسلامية ص ٦٤.
(١١) المرجع السابق، ص ١٠٤.

لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم الزهراوي[١]، والمجربات في الطب لابن زهر، والكليات لابن رشد[٢]، وكتاب القانون في الطب، وكتاب الشفاء لابن سينا[٣]، وكتاب الفلك[٤]، وكتاب رتبة الحكيم، وكتاب غاية الحكيم لمسلمة المجريطي[٥]، والجبر والمقابلة للخوارزمي، وكتاب الخالص[٦]، وكتاب الاستتمام،، وكتاب التصريف، وكتاب شرح المجسطى، وكتاب الوصية لجابر بن حيان[٧]، والمناظر لابن الهيثم[٨]، والأدوية المفردة لابن وافد[٩]، وأصل الكواكب لأبي علي الخطاط، والمدخل إلى علم هيئة الأفلاك لأبي معشر، والفلك لابن الفرخان، والفلك للبتاني، والفلك لثابت بن قرة، وشرح كتاب بطليموس لابن الداية، والمدخل إلى صناعة أحكام النجوم للقابسي، والفصل بين الروح والنفس لقسطا ابن لوقا، وإحصاء العلوم للفارابي، ومقاصد الفلاسفة للغزالي[١٠]، والجامع

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٥٦.
(٢) التراث والحضارة الإسلامية، ص ١٠٤.
(٣) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ص ٩٤.
(٤) الحضارة العربية، ص ٦٢.
(٥) روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص ٢٧٩.
(٦) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٥٥.
(٧) المرجع السابق، ص ٥٧.
(٨) المرجع السابق، ص ٣١٥.
(٩) المرجع السابق، ص ٣٤٢.
(١٠) الحضارة العربية ص ٦١-٦٢.

لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار[1]، وقصة حيّ بن يقظان لابن طفيل[2].

وقد ترجم القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م بأمر من القديس "بطرس" رئيس دير "كلوني"، وقام بهذه الترجمة ثلاثة من الرهبان أحدهم إنجليزي والآخر ألماني والثالث إسباني، وهذه الترجمة هي التي طبعها "تيودور" في بازل سنة ١٥٤٣م، وكان رجال الدين في أوربا، قد حاربوا القرآن الكريم بإطلاق الشائعات التي تقول: أن من يترجمه أو يطبعه أو ينشره فإنه سيلاقي الموت الزؤام[3]، لأن الغرض من هذه الترجمة أن يستعين بها القسس ورجال الكنيسة في جدالهم ضد الإلحاد أي المسلمين[4]، ولذلك نرى أنها لم تطبع إلا في القرن السادس عشر بعد الثورة على اللاتينية وعلى الكاثوليكية، وظهور المذاهب المناهضة لها، كالبروتستانتية، ولعل اطلاع أصحاب هذه المذاهب على ترجمة القرآن هو الذي أدى إلى الثورة والتحرر من قيود الكاثوليكية، ولذلك نقلت هذه الترجمة إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية.

وقد أحصى الدكتور "ليكليرك" في كتابه "تاريخ الطب العربي" عدد المؤلفات التي نقلت من العربية إلى اللاتينية في القرنين الثاني

(١) العلوم عند العرب، ص٢٢٠.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠١.
(٣) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ص ٩٢.
(٤) ينظر: التاريخ الإسلامي، ص ٢٣.

عشر والثالث عشر فقط، فوجدها تزيد على ثلاثمائة(١) ترجمة موزعة كالتالي:

١- تسعون ترجمة تتعلق بالعلوم الفلسفية والفيزيائية والطبيعية.

٢- سبعون ترجمة تتعلق بالعلوم الرياضية والفلكية.

٣- تسعون ترجمة تتعلق بالعلوم الطبية.

٤- أربعون ترجمة تتعلق بعلم النجوم والكيمياء.

٥- عشر ترجمات منوعة(٢).

ويبين مدى أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية، المستشرق الفرنسي المشهور "إدغاربلوشيه" بقوله: "إن ما اصطلح على تسميته بالنهضة الأوربية لم يكن ليكون لولا اتصال الأوربيين بالعرب المسلمين وحضارتهم"(٣).

والذي يهمنا هو أن آلافاً من الكلمات العربية قد انتقلت إلى اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوربية الموجودة اليوم.

وسنضرب مثالاً لكثرة عدد الألفاظ العربية المنتقلة إلى اللغات الأوربية بترجمة كتاب القانون لابن سينا إذ انتقلت في هذه الترجمة

---

(١) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص ٢٥، وينظر: حضارة العرب، ص ٥٦٨.
(٢) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص ٢٥.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٨.

أكثر من سبعمائة كلمة إلى اللغات الأوربية إذ تقول المستشرقة الألمانية "زيغريدهونكه" عن ابن سينا: "وذكر في كتابه "القانون" ما ينيف على سبعمائة وستين عقاراً، دخلت كلها في علم النبات وعلم الصيدلة الأوربيين، وظل الكثير منها بأسمائها العربية في اللغات الأجنبية، كالعنبر (Ambra) والزعفران (Safran) والكافور (Kampfer) والتمر الهندي (Tamarinde) وعود الند (Aloe) والحشيش (Haschisch) والمسك (Muskat) والصندل (Sandelholz) وغيرها...)"[١].

وإذا وجد هذا العدد من الألفاظ في كتاب واحد فكم يكون عدد الألفاظ في مئات أو آلاف الكتب التي ترجمت.

لأن اللغة اللاتينية كانت بحاجة إلى المصطلحات البحرية والتجارية والإدارية والعلمية التي كانت في اللغة العربية؛ لأنها لم تكن موجودة من قبل، ومن اللاتينية انتقلت تلك المصطلحات إلى اللغات الأوربية الموجودة اليوم، وقد علل الدكتور محمد عبد السلام كفافي سبب كثرة الألفاظ التي انتقلت إلى اللغات الأوربية بقوله: "هذه الترجمات الكثيرة وحاجة اللغات الأوربية إلى المصطلحات العلمية، التي لم تكن موجودة حينذاك، أدت إلى انتقال كثير من الكلمات العربية إلى اللغات الأوربية... وأصبحت الآن قسماً لا

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٢١.

ينفصل عن تلك اللغات، ولكن أصولها تدل على ما كان للعرب من فضل على الثقافة الأوربية"[١].

فهذه الترجمات لم تصل إلى اللغات الأوربية مباشرة، وإنما كانت إلى اللاتينية، ومنها انتقلت إلى اللغات الأوربية، لأن الترجمات العربية قد وجدت قبل أن توجد هذه اللغات، وهذا من الأسباب التي دعتنا إلى هذا البحث، والألفاظ العربية الموجودة في اللغات الأوربية، متقاربة في الشكل واللفظ؛ لأن مصدرها واحد هو اللغة اللاتينية.

فلو أخذنا كلمة مخزن ستكون في الإنجليزية (Magazine) وفي الفرنسية (Magasin)[٢]، وفي الألمانية (Magazin)[٣]، وكلمة قطن تكون في الإنجليزية (Cotton)، وفي الفرنسية (Coton)[٤]، وفي الألمانية (Koton)[٥]، وكلمة تعريف تكون في الإنجليزية (Tariff)[٦] وفي كل من الفرنسية والألمانية (Tarif)[٧].

---

(١) الحضارة العربية، ص ٦٣.
(٢) غرائب اللغة العربية، ص ١٤٠.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٥٥٦.
(٤) غرائب اللغة العربية، ص ١٣٨.
(٥) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٥٥٥.
(٦) غرائب اللغة العربية، ص ١٣٤.
(٧) المرجع السابق، ص١٣٤، وشمس العرب، ص ٥٥٧.

والألفاظ العربية الموجودة في الإنجليزية هي في الغالب الموجودة في الفرنسية، وتلك هي الموجودة في الألمانية، ويقال مثل ذلك في بقية اللغات الأوربية، ولذلك فإننا سنورد أمثلة للكلمات الدالة على المصطلحات العلمية باللغة الإنجليزية؛ لأنها أشهر اللغات الأوربية ونورد أمثلة لأهم اللغات الأوربية في الفصل الثالث فيما بعد.

وهذه بعض الكلمات العربية المستخدمة في الطب(١):

الأكسير	Elixir
حكيم	Hakeem
حشيش	Hasheesh
معجون	Majoon
مرئ	Meri
موميا	Mummy
نخاع	Nucha
صداع	Soda
سبات	Subeth
سنبل	Sumbul
طباشير	Tabasheer

(١) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٧٨، وتاريخ العلوم عند العرب، ص٤٩.

ومن الكلمات العربية المستخدمة في الرياضيات(١):

الجبر	Algebra
الخوارزمي (أي الحساب)	Algorsim
المقابلة	Almachabel
صفر	Cipher

وهذه أمثلة لبعض الكلمات المستخدمة في الاصطلاحات الفلكية(٢):

آخر النهر أو الظليم	Acher Nahr
العذارى	Adara
عين الرامي	Ain
الشولة	Alasha
الشب	Alchiba
الدبران	Aldebaran
الذراع اليمنى	Alderanin
الجنب أو مرفق الثريا	Algenib
الجبهة	Algieba
الغول	Algol
الغراب	Algorab

(١) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص١٣٥.

(٢) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٣٤-٢٣٦، والعلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية ٣١٦-٣١٧، والإسلام تاريخ وحضارة ص ٤٣.

Alhena	الهنعة
Alkaid	القائد
Alkaturops	القطربوس
Alkes	الكأس
AlMaach	المآق والموق
Alphacca	الفكة
Alphard	الفرد
Alphirk	الفرق
Arsh	عرش الجوزاء
Caph	الكف الخصيب
Chileb	كلب الراعي
Deneb el Delphinus	ذنب الدلفين
Benetnasch	بنات نعش
Deneb elgedi	ذنب الجدي
Deneb el Okab	ذنب العقاب
El Nasl	النصل
El Rakis	الراقص
Enif	أنف الفرس
El Rai	الراعي
Etanin	التنين
Famul Hout	فم الحوت
Marcab	مركب الفرس

Mintaka	منطقة الجبل
Mirzam	مرزم الجبار
Muphride	المفرد
Nihal	النهال
Ras al Asad	رأس الأسد
Rastoban	رأس الثعبان
Rigil	الرجل
Sadr	صدر الدجاجة
Sheratan	الشرطان
Saad El Melik	سعد الملك
Sadu Saoud	سعد السعود
Saif	سيف الجبار
Thuban	الذئبان
Unuk el Hay	عنق الحية
Zawa Al-Awwa	زاوية العواء
Zubaneschemali Zubanelgenubi	زبانا العقرب
vega	النسر الواقع
Al taref	الطرف
Cursa	كرسي الجوزاء

الأرنب	Arnab
قرن الثور	Tauri
الزروق	Zaurek
المرقوب	Arkab
السمت	Azimeck
سمت الرأس	Zenith
الدبة	Dubba
المعرق	Merak
الفخذة	Phecda

وهذه أمثلة للكلمات العربية المستخدمة في الكيمياء(١):

الكيمياء	Alchemy
الكحل	Alcohol
القلوي	Alkali
النطرون	Anatron (Natron)
النيل	Anil
زرنيخ	Arsenic
كيمياء	Chemistry
قرمز	Kermes

---

(١) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٧٩، والعلوم عند العرب أصولها وملامحها ص ٣٥١.

Kibrit	كبريت
Elixir	الإكسير
Limbick	الأنبيق
Naphta	نفط
Attar	عطر
Saffron	زعفران
Savon-soap	الصابون
Aludel	الأثال (إناء)
Almalgam	الملقم (معدن رئبقي)
Anbar	العنبر
Kazdir	القصدير
Balsam	بلسم
Danik	الدانق
Gaz	غاز

وهذه أمثلة للكلمات العربية المستخدمة في مصطلحات النبات والصيدلة(١):

Abel mosk	أبو المسك
Al canna	الحناء
Al Handal	الحنظل

(١) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٣٤٤ – ٣٤٥، وتاريخ العلوم عند العرب ص ٤٩.

Apricot	البرقوق
Argan	أرجان
Artichoke	الخرشوف
Aubergine	الباذنجان
Bonduc	بندق
Caphor	كافور
Coffee	قهوة
Crocus	كركم
Cubeb	كبابة
Cumin	كمون
Jasmine	ياسمين
Lablab	لبلاب
Lemon	ليمون
Nenupher	نينوفر
Sesame	سمسم
Sugar	سكر
Tamarind,	تمر هندي
Rob	رب (نوع من المربي)
Surop	شراب
Arithmid	إثمد
Tuttey	توتياء

وهذه أمثلة للكلمات العربية المستخدمة في حقل الحيوان[١].

أبدة (أنني وحيد القرن)	Abada
بكر (الفتي من الجمال)	Albacore
الغزال	Algazel (Gazelle)
أريل (نوع من الغزلان)	Ariel
ضبع	Dabuh
غول	Ghoul
زرافة	Giraffe
قندي (نوع من الفئران)	Gundi
حرذون (نوع من السحال)	Hardim
يربوع	Jerboa
يعفور (نوع من الظباء)	Elaphur[٢]
البراق	Alborak

(١) ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٣٥٥.
(٢) المرجع السابق ص ٣٥٣.

الفصل الثالث

أمثلة لما أخذته أهم اللغات الأوربية

سنختار من اللغات الأوربية أهمها، وهي اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية؛ لأن هذه اللغات تقع ضمن اللغات العشر الأوائل في العالم، من حيث سعة الانتشار، وكثرة عدد المتكلمين بها(١).

ولأن ثلاثاً منها تقع ضمن لغات العمل، في المنظمات الدولية، ولغات العمل في المنظمات الدولية، هي "العربية والصينية والروسية، والإنجليزية والفرنسية والإسبانية"(٢).

وكانت اللغة الكلتية تشغل مساحة هذه اللغات من القارة الأوربية، فقد كانت اللغة الكلتية منتشرة في شبه الجزيرة الإيبرية، وبلاد الغال القديمة (فرنسا)، وشمال إيطاليا، وجنوب ألمانيا، قبل انتشار اللغة اللاتينية في هذه المناطق، كما كانت الكلتية لغة الجزر البريطانية، قبل هجرات الإنجليز والسكسون إليها(٣).

ولا تزال اللغة الكلتية حية حتى اليوم، في عدة أشكال لغوية أهمها اللغة الإيرلندية واللغة الأسكتلندية في بريطانيا، واللغة البريتونية في منطقة بريتاني بفرنسا(٤).

---

(١) ينظر: اللغة العربية في العصر الحديث، ص ١٥٣.
(٢) الفصحى لغة القرآن، ص ٢٨٤.
(٣) مدخل إلى علم اللغة، ص ١١٧.
(٤) المرجع السابق، ص ١١٧.

وهذا بيان بأهمية اللغات التي اخترناها، وهي الفرنسية، والإنجليزية والإسبانية، والبرتغالية، وأثر العربية فيها الذي جاء عن طريق اللاتينية التي كانت لغة العلم والمعرفة في أوربا حتى سنة ١٧١٤م.

١- اللغة الفرنسية:

تقوم اللغة الفرنسية على اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي وجدت في بلاد الغال وذلك أنه قبل نهاية القرن السادس عشر أصبحت لهجات اللغة اللاتينية، ومنها الفرنسية قد اكتمل نموها وأصبح لكل منها ما يميزها[١] إلا أنه بعد معاهدة "راستات" عام ١٧١٤م، والتي تعد أول معاهدة أوربية تكتب باللغة الفرنسية، بدلاً من اللاتينية التي كانت تصطنع في كل المعاهدات الدولية قبل ذلك -أصبحت الفرنسية اللغة العالمية الأولى، ففي القرن الثامن عشر نُظر إلى اللغة الفرنسية على أنها اللغة الأولى للثقافة والفكر، وكانت هذه اللغة تسمع في مسارح أوربا، أكثر مما كانت تسمع اللغات المحلية، ولما كان القرن التاسع عشر كانت معظم دول أوربا تدين للغة الفرنسية، والفكر الفرنسي بالولاء وتعد الفرنسيين أساتذتهم في كل المجالات الثقافية، فاتخذت اللغة الفرنسية أداة التعبير في المكاتبات الدبلوماسية، وسجلت بها المعاهدات الدولية، وظلت اللغة الفرنسية اللغة العالمية الأولى في المسائل الدبلوماسية، بل وفي القصص والمسرحيات، والفلسفة، في معظم أنحاء العالم

(١) ينظر: أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، ص ٣٥.

المتمدين، فأقبل عليها الناس في كل البيئات، وألف بها كثير من علماء تلك الدول الأوربية[١] غير أن هذه الفرنسية العالمية، قد وجدت منذ أوائل القرن العشرين منافساً قوياً لها في الميدان العالمي، وهو اللغة الإنجليزية التي اشتركت مع الفرنسية لأول مرة في معاهدة فرساي بعد الحرب العالمية الأولى[٢].

وبعد الحرب العالمية الثانية احتلت اللغة الإنجليزية مكانة اللغة الفرنسية.

واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في عدد من الدول الإفريقية[٣]، وبالإضافة إلى فرنسا فهي لغة خمسة وأربعين في المائة من بلجيكا وحوالي عشرين في المائة من كندا، وحوالي عشرين في المائة من سويسرا وتحاول فرنسا أن تنشر اللغة الفرنسية، في مستعمراتها السابقة أملاً في تكوين ضرب من اللقاء بين هذه الدول في إطار ما يسمى بالعالم الناطق بالفرنسية وهو ما يعرف بالفرانكفونية[٤].

وسبق أن بيّنّا في المبحث الثالث من الفصل الأول أن اللغة العربية استوطنت أكثر من نصف فرنسا الحالية وأنها مكثت في منطقة بروفانس في جنوب فرنسا أكثر من مئتي سنة، وأن بقاء العرب في هذه المنطقة له أثر عميق في الدين واللغة والدم،

---

(١) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ٨٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٩١.
(٣) مدخل إلى علم اللغة ، ص ١٢٥.
(٤) اللغة العربية في العصر الحديث، ص ١٥٦.

وسنذكر بعض المفردات المشتركة بين الفرنسية والإنجليزية بعد التعريف باللغة الإنجليزية.

٢- اللغة الإنجليزية:

كانت لغة الجزر البريطانية في القرون المسيحية الأولى اللغة الكلتية، وكانت لها ثلاثة فروع متميزة، أحدها في اسكتلندا، والثاني في ويلز، والثالث في إيرلندا، ولا تزال بقايا هذه الفروع، سائدة حتى الآن في هذه المناطق، بوصفها لغة ثانية، لكل منها، ثم غز الرومان هذه الجزر البريطانية واستقرت حاميتهم هناك عدة قرون، ثم تركوها في أوائل القرن الخامس الميلادي دون أن يخلفوا في لغاتها أثراً يذكر(١).

وفي أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس من الميلاد غزا هذه الجزر جماعات من الجنس الجرماني يسمون بالإنجليز السكسون، وفدوا من غرب أوربا وأسسوا دولتهم شرقي الجزر البريطانية وفي الشمال منها، فشهدت هذه الجزر للمرة الأولى صراعاً لغوياً بين لغة الغزاة الجرمانية، وبين اللغة الكلتية التي كانت سائدة هناك، وانتصرت اللغة الغازية، أو بعبارة أدق تقهقرت اللغة الكلتية أمامها، واتخذت لها ملجأ في شمال إسكتلندا وفي ويلز من أقصى الغرب، وفي إيرلندا، ولا تزال بقاياها هناك حتى الآن(٢)، وبهذا تكونت اللغة الإنجليزية التي تطورت ومرت بمراحل

---

(١) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ٢٩٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٢.

متعددة، حتى صارت على الصورة المألوفة لنا الآن. ومنذ القرن الثامن الميلادي شهدت الجزر البريطانية غزوات سريعة، قام بها قوم من المحاربين وفدوا من شمال الدانمرك ومن بلاد السويد والنرويج، وعرفوا في التاريخ باسم "□يكنج" وقد حكموا الجزر البريطانية (١٠١٦-١٠٤٢م)(١) ولما كانت لغتهم تنتمي إلى المجموعة الجرمانية، أي مثل لغة الإنجليز السكسون لم يحدث خلال تلك الغزوات ما يشبه الصراع اللغوي(٢).

وفي عام ١٠٦٦م غزاها جماعة من هؤلاء "الڤيكنج" عرفوا في التاريخ باسم النورمانديين لأنهم جاءوا من مقاطعة "نورمانديا" في أقصى الغرب من فرنسا، وبعد أن أقاموا هناك قرنا من الزمان، وأصبحت لغتهم اللغة الفرنسية.

وقد حدث صراع حقيقي بين لغة الإنجليزية السكسون، وبين اللغة الفرنسية التي جاء بها هؤلاء النور ما نديون، واستمر هذا الصراع زهاء قرنين، انتصرت بعدهما الإنجليزية، ولكن بعد أن فقدت بسبب هذا الغزو، وما نشأ عنه من صراع لغوي نحو ثلثي الكلمات التي كانت تجري على ألسنة الإنجليز السكسونيين، بل لم تعد الإنجليزية خلال هذا الصراع لغة الأدب والثقافة، وقد أصبحت الفرنسية لغة الطبقة العليا والحكام في الجزر البريطانية، وهكذا لم يمض غير من قليل على الغزو النورماندي، حتى أصبحت معظم

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ، ص ١٢٢.
(٢) اللغة بين القومية والعالمية، ص ٢٩٢.

كلمات المهن والحرف فرنسية، وأصبحت الكلمات الخاصة بمواعيد الطعام وأصنافه فرنسية، وأصبحت معظم المدارس في أيدي من يعلمون الفرنسية، بل لقد ترتب على الغزوْ النورماندي تغييرات في بنية اللغة، وتراكيبها، ومع كل هذا لم يكد يبدأ العام ١٣٦٢م حتى كانت اللغة الإنجليزية قد خرجت من هذا المحنة، وأصبح لها كيان مستقل(١)، فاعترف بها أولاً في المحاكم، ثم بعد قليل أصبحت اللغة الرسمية في البرلمان، وأخذت الإنجليزية منذ ذلك الحين، تعتمد في آدابها على ترجمة الآثار الأدبية، من اللغات الأخرى ولا سيما الفرنسية، وترتب على هذا أن دخلت مئات من الكلمات الفرنسية اللغة الإنجليزية، وأصبحت كلمات اللغة الإنجليزية مزيجاً من كلمات، بعضها من أصل جرماني والبعض الآخر من أصل لاتيني، وتلك هي اللغة التي وجدها الشاعر الإنجليزي المشهور "تشوسر" والتي كتب بها آثاره(٢).

ونلاحظ أن العصر الذي حكم فيها النورمانديون (١٠٦٦-١٣٦٢م) أي من منتصف القرن الحادي عشر الميلادي حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، هو العصر الذي ترجم فيه التراث العربي الإسلامي من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، واللغة الفرنسية هي مظهر من مظاهر اللغة اللاتينية، فلا نستغرب وجود كثرة الألفاظ العربية في اللغة الإنجليزية، كما نلاحظ أن نشأة

(١) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ٢٩٣، ومدخل إلى علم اللغة، ص ١٢٢.
(٢) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ٢٩٤.

اللغات الأوربية قد جاءت بعد ترجمة التراث العربي الإسلامي وبعد تأثر الأوربيين بهذا التراث؛ لأن الترجمة أحدثت ثورة على الكنيسة وعلى لغتها اللاتينية، وأدت إلى ترجمة لكتاب المقدس إلى اللغات المحلية.

واللغة التي ألف بها "تشوسر" كانت تقوم على لهجة لندن، وأصبح استخدامها في الأدب وعند رجال البلاط تدعيماً لمكانتها، وكانت الطباعة منذ دخولها إلى إنجلترا عام ١٤٧٥م ذات أثر فعال في انتشار الكتاب الإنجليزي، في مناطق سادتها اللهجات المحلية(١) كما أن ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية، أدى إلى الاعتزاز بهذه اللغة، وقد ترجم العهد القديم عدة ترجمات في النصف الأول من القرن السادس عشر، ثم كان ذلك المؤتمر الذي عقد في "هامتون كورت" وانتهى بوضع تلك النسخة المحققة المعتمدة من الكتاب المقدس سنة ١٦١١م التي لا تزال تقرأ ويتعبد بألفاظها إلى الآن، وقد أدت هذه الترجمة إلى استقرار اللغة الإنجليزية، وازدهارها خلال القرن السابع عشر(٢).

ولم يبدأ انتشار اللغة الإنجليزية خارج حدود الجرز البريطانية إلا سنة ١٠٦٦م حين هاجر جماعة من الإنجليز المغامرين إلى أمريكا الجديدة واستقروا في "فرجينيا"(٣).

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، ص ١٢٣.
(٢) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ٢٩٤-٢٩٥.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٩١.

وقد وجدت عوامل ساعدت على انتشار اللغة الإنجليزية خارج الجزر البريطانية، وجعلها اللغة الدولية الأولى في العالم، وأهم العوامل التي دفعت باللغة الإنجليزية إلى إفريقيا وآسيا واسترالية وجنوب إفريقيا هي الاستعمار والهجرات، فقد دخلت الإنجليزية شبه القارة الهندية ومناطق واسعة في أفريقيا مع موجة المد الاستعماري ثم كانت الهجرات إلى جنوب إفريقيا واستراليا، ويعد إعلان اللغة الإنجليزية لغة رسمية في الولايات المتحدة الأمريكية، أهم الأحداث الحاسمة، في التاريخ الحديث للغة الإنجليزية(١).

وقد عدت اللغة الإنجليزية لغة عالمية عندما شاركت اللغة الفرنسية في معاهدة فرساي سنة ١٩١٨م، وكانت هذه المرة الأولى التي اتخذت فيها الإنجليزية لغة المعاهدات الدولية(٢).

وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة العالمية الأولى.

ولا تزال اللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر اللغة العالمية الأولى، فقد انتشرت في بقاع متباعدة من الكرة الأرضية، وبين شعوب متعددة من شعوب العالم، طوراً تصطنع كلغة الأم، وأخرى كلغة ثانية، بين هذه الشعوب، بل لا تكاد تخلو، مدينة في العالم من قوم يحسنون الكلام بالإنجليزية. هذا إلى أنها تتسم بالمرونة

---

(١) مدخل إلى علم اللغة، ص ١٢٣.
(٢) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ١٩٧.

والسماحة، فلا تأبى الاقتراض من كلمات اللغات الأخرى، كلما أعوزها هذا، وقد أصبح الآن نصف كلماتها من أصول أجنبية، وكثير من أساليبها ترجع إلى مصادر غير إنجليزية، وقد أقبلت على كل هذه العناصر، دون أن يشعر أهلها بغضاضة، أو مركب نقص، فهضمتها، وصبغتها بصبغتها، وأصبحت جزءاً أساسياً فيها(١).

واللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في الجزر البريطانية، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، واستراليا، ونيوزيلندا، واتحاد جنوب أفريقيا(٢).

واللغة الإنجليزية أكثر لغات العالم انتشاراً عند غير أبنائها وذلك أن الرابطة اللغوية أقوى ما يربط مجموعة دول الكومنولث(٣)، (رابطة الشعوب البريطانية) وتضم ثلاثاً وخمسين دولة من المستعمرات البريطانية السابقة.

وأثر العربية في الإنجليزية يظهر في كثرة الألفاظ العربية التي انتقلت إليها عن طريق اللاتينية والتي تعد بالآلاف.

فقد ألف الدكتور سليمان أبو غوش كتاباً بعنوان "عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي"، وألف المستشرق "والت تايلور" كتاباً بعنوان "كلمات عربية في اللغة الإنجليزية" وذكر في هذا

---

(١) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، ص ٢٩٧.
(٢) ينظر: اللغة العربية في العصر الحديث، ص ١٥٤.
(٣) المرجع السابق، ص ٥٤.

الكتاب حوالي ألف كلمة ذات أصل عربي، في اللغة الإنجليزية، وآلافاً أخرى مشتقة من هذه الكلمات[١].

ومع ذلك فإن "تايلور" أنكر الكثير من الكلمات التي يسلم الناس جميعاً، بأنها عربية، وأنها لم تنتقل إلى الإنجليزية فحسب، وإنما انتقلت إلى جميع اللغات الأوربية، وكل معاجم اللغات الأوربية التي تعنى بتبيان أصول الألفاظ تشير إلى عربيتها، ومن هذا النوع الذي ينكره "تايلور" الألفاظ التالية:

Arsenal وتعني دار الصناعة، وCarat أي القيراط، وAdmiral أي أمير البحر، وAlchemy أي الكيمياء، وAlcohol أي الكحول، وAlgebra أي علم الجبر[٢].

ويمكن تعليل وجود الكلمات العربية بكثرة في اللغة الإنجليزية بما يلي:

أ – أن اللغة اللاتينية هي لغة العلم والمعرفة حتى القرن السادس عشر وعن طريقها انتقلت الألفاظ العربية إلى الإنجليزية.

ب- أن الجرز البريطانية كان يحكمها النورمانديون منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر ولغتهم اللاتينية؛ لأن الفرنسية في ذلك الوقت في طور نشأتها وهي تعد مظهراً من مظاهر اللغة اللاتينية، وهذه الفترة التي حكم فيه

---

(١) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ص ١٩٣.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩٤.

النورمانديون هي الفترة التي نقلت فيها العلوم العربية إلى اللغة اللاتينية، وقد سبق أن عصر حكم النورمانديين قد انتقلت فيه كثير من الألفاظ اللاتينية إلى اللغة الإنجليزية حتى أصبحت الإنجليزية مزيجاً من الكلمات، ذات الأصل اللاتيني، وذات الأصل الجرماني، والألفاظ العربية التي انتقلت إلى اللاتينية ستكون من ضمن الكلمات اللاتينية التي انتقلت إلى الإنجليزية؛ لأنها كثيرة.

ج- معظم الأعلام المهتمين بالعلوم العربية في القرن الثالث عشر من الإنجليز أمثال "أديلارد الباثي" و"روبرت الشستري" و"دانيل المرولي" و"جروستست"، و"روجر بيكون"، و"ميخائيل سكوت"(١)، وهؤلاء عند نقلهم لمصطلحات العلوم العربية إما أن ينقلوها إلى اللاتينية وعن طريقها انتقلت إلى الإنجليزية، وإما أن ينقلوها مباشرة إلى اللغة الإنجليزية.

وهذه أمثلة لبعض الألفاظ الفرنسية والإنجليزية المأخوذة من العربية(٢):

العربية	الفرنسية	الإنجليزية
البرقوق	Abricot	Apricot
الجبر	Algèbre	Algebra
الخوارزمي	Algorithme	Algorithm

(١) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٢/٤١٩.
(٢) ينظر: غرائب اللغة العربية، ص١٣٢، ١٣٤.

Assegai	Zagaie	الزجاج
Azarole	Azerole	الزعرور
Azimuth	Azimut	السمت
Alidade	Alidade	العضادة
Lute	Luth	العود
Alcove	Alcôve	القبة
Alkali	Alkali	القلي
Alcohol	Alcool	الكحل
Amalgam	Amalgame	الملغم
Muslin	Mousseline	الموصل
Admiral	Amiral	أمير البحر
Popinjay	Papegai	ببغاء
Dragoman	Drogman	ترجمان
Tamarind	Tamarin	تمر هندي
Ginger	Zinzolin	جلجلان
Jar	Jarre	جرّة
Jinn	Djin	جنّ

حشاشين	Assassin	Assassin
حشيس	Hachich	Hashish
حلفاء (نوع من النبات)	Alfa	Alfa
خروب	Caroube	Carob
خليفة	Calife	Caliph
دار الصناعة	Arsenal	Arsenal
ديوان	Divan	Divan
زرافة	Girafe	Giraffe
زعفران	Safran	Saffron
سحلب	Salep	Salep
سكر	Sucre	Suger
سمت الرأس	Aénith	Zenith
سموم	Simoun	Simoon
سنا	Séné	Senna
سيسبان	Sesbane	Sesban
شراب	Sirop	Syrup
شرق	Sirocco	Sirocco

Saracen	Sarrasin	شرقيون
Cipher	Chiffre	صفر
Zero	Zéro	صفر
Caker	Sacre	صقر
Pistachio	Pistache	فستق
Felucca	Felouque	فلك
Candy	Candi	قند
Quintal	Quintal	قنطار
Coffee	Café	قهوة
Camphor	Camphre	كافور
Cubeb	Cubébe	كبابة
Lemon	Limon	ليمون
Mosk	Mosquée	مسجد
Musk	Musc	مسك
Mattress	Matelas	مطرح
Noria	Noria	ناعورة
Nadir	Nadir	نظير

وزير	Vizir	Vizier
ياسمين	Jasmin	Jessamine
يربوع	Gerboise	Jerboa
بلبل	Bulbul	Bulbul(١)
قاض	Cadi	Cadi
فلاح	Fellah	Fellah
جبة	Jupe	Jubbah
ولاية	Vilayet	Vilayet

٣- اللغة الإسبانية:

الإسبانية هي نتيجة تطور اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي كانت موجودة في شبه جزيرة إيبريا أو بمعنى أوضح هي نتيجة لتطور اللاتينية الشعبية في وسط شبه جزيرة إيبريا، لأن الإسبانية هي لهجة قشتالة في إسبانيا، فالإسبانية تقوم على لهجة قشتالة، ولذلك كانت تسمى باللغة القشتالية؛ لأن لهجات غرب شبه جزيرة إيبريا، كونت اللغة البرتغالية، أما لهجات شرق إيبريا فنشأت عنها اللغة القطلونية وهي التي يتكلم بها اليوم في شرقي إسبانيا

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٩، ٥٠.

(قطالونيا، فلانسيا، وجرز البليار)، وتشكل اللغة الثانية بعد الإسبانية في دولة إسبانيا(١).

وتعد اللغة الإسبانية من أكثر لغات العالم انتشاراً، فهي لغة أمريكا الجنوبية والوسطى، أو بعبارة أخرى لغة أمريكا اللاتينية كلها ما عدا البرازيل، أي أن اللغة الإسبانية بالإضافة إلى دولة إسبانيا تكون لغة للدول التالية: الأرجنتين، وشيلي، وأوروغوي، وباراغوي، وبوليڤيا، وبيرو، وإكوادور، وكولومبيا، وفنـزويلا، وپنما، وكوستاريكا، ونيكاراغوا، والسلفادور، وهندوراس، وغواتيمالا، وكوبا.

والإسبانية إحدى لغات العمل الدولية، وقد كان لوجود اللغة العربية في الأندلس، لأكثر من ثمانية قرون آثارها الكبيرة في اللغة الإسبانية، فقد ذكر بعض الباحثين أن نصف اللغة الإسبانية من أصل عربي(٢).

وقد بينا في الفصل الأول، ما فعلت محاكم التفتيش بالعرب المسلمين، وبلغتهم، إذ استأصلت الإنسان العربي المسلم، من شبه جزيرة إيبريا، وعملت على طمس كل ما جاء به من حضارة، وفن، ولغة، وأدب، وعمارة، ودين، بعد أن استنفدت ما عنده، إلا أن اللغة العربية نتيجة لتغلغلها ونفاذها في اللاتينية الشعبية التي في

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، ص ١٢٥، واللغة بين القومية والعالمية، ص ١٥٤.
(٢) ينظر: الفصحى لغة القرآن، ص ٩٠.

الأندلس، والتي نشأت عنها اللغة الإسبانية، قد بقي منها ما استعصى على التغيير، وظنه الإسبان من اللغة اللاتينية، فأجروا عليه أحكام اللاتينية، إلا أنّه ظهر للباحثين بتميزه الذي يشير إلى أصله العربي الإسلامي وإن حرّف وكتب بأحرف لاتينية، ولذلك لا نستغرب من بعض الباحثين عند ما يذكرون كثرة الألفاظ العربية في اللغة الإسبانية، فقد ألف "أنجلمان" و"دوزي" معجماً بالكلمات الإسبانية والبرتغالية التي من أصل عربي، أو اشتقت من أصل عربي، كما ألف "أغرويلز – يانغوار" كتاباً في هذا المعنى، وفي سنة ١٩٢٠م نشر "دلغادو" معجماً بالكلمات التي هي من أصل شرقي(١).

وقد أكد "أنجلمان" أن العربية ظاهرة كل الظهور في اللغتين الإسبانية والبرتغالية(٢) وقد أشار بعض الباحثين إلى أن أكثر من سبعة عشر بالمائة من مفردات اللغة الإسبانية اليوم عربي الأصل، وهو يشكل أكثر من أربعة آلاف كلمة، ولم يقتصر التأثير العربي على المفردات بل تعداه إلى تركيبات وتعبيرات لغوية كثيرة، ترجمت حرفيا من العربية لتعبر عن نفس المعنى بالإسبانية(٣)، وقيل إن ربع الإسبانية مأخوذ من العربية(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٠.
(٢) الإسلام والحضارة العربية ١/ ١٧٨.
(٣) الفصحى لغة القرآن، ص ٩١.
(٤) الإسلام والحضارة العربية، ص ١٧٨/١.

وألف "أنطوان إلياس" أحد أدباء العرب في "الأرجنتين" كتاباً باللغة الإسبانية، ذكر فيه الكلمات الإسبانية الكثيرة التي هي من أصل عربي، وقد انتهى به البحث إلى الحكم بأن العربية أقدم لغة حية، وقد أرجع كثيراً، من الكلمات الإنجليزية، واللاتينية واليونانية إلى أصلها العربي، وبرهن على أنها ليس لها من غير العربية تحليل ولا تركيب، فهي في غير العربية غريبة، وفي العربية ذات نسب ودلالة[١].

وهذه النسب التي ذكرها الباحثون وأن بدا تفاوت في مقدراها ما بين خمسين في المائة وسبعة عشر في المائة، فإنها تدل على كثرة ما دخل اللغة الإسبانية من ألفاظ العربية.

وقد دخلت الإسبانية كثير من الألفاظ العربية، محتفظة بشكلها العربي، وإن ظنها الإسبان لاتينية، وأجروا عليها أحكام اللغة الإسبانية، ويشمل ذلك كثيراً من أسماء البلاد، والأنهار، والنواحي، وبعض المرافق، والمصطلحات، وكل كلمة تبدأ عندهم بأل التعريف العربية هي عربية لا محالة، ومن الأسماء ما يبدأ ببني، ومنها ما يبدأ بوادي[٢]، أو جبل، أو قلعة، أو مدينة، أو جنة[٣].

فأكثر ما دخل اللغة الإسبانية من الألفاظ العربية الأسماء، والجانب الأكبر من هذه الأسماء قد خل في نسيج اللغة الإسبانية

---

(١) الفصحى لغة القرآن، ص ٩٠.
(٢) الإسلام والحضارة العربية ١٧٨/١.
(٣) دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ص ١٢٨.

محلى بلام التعريف[١] مثل العمود Alamud والفرس Alfaraz ، والرئيس Arraez، واللوزة Alloza.

وقد اعتبر الإسبان "ال" التعريف العربية جزءاً من الاسم العربي وظنوا هذه الأسماء نكرة، فإذا احتاجوا إلى تعريفها يدخلون عليها، أداة التعريف في اللغة الإسبانية.

وهي تلفظ تارة إل (El) وتارة لا (La) مثل: Elalambar أي "أل – العنبر) ومثل La aldea أي "لا – الضيعة"[٢].

ومثال الأسماء المبدوءة ببني، بعض المدن مثل بني قاسم وبني سالم، ولفظة الوادي، دخلت المعجم الإسباني بصيغة (جواد) فيقال: للنهر الكبير الذي يخترق مدينة قرطبة وإشبيلية (جواد الكفير) أي الوادي الكبير ومثله (جواد الجارا) أي وادي الحجارة، و(جواد الكازار) أي وادي القصر و(جواد مدينا) أي وادي المدينة و(جواد رمان) أي وادي الرمان[٣].

ولفظة القلعة دخلت المعجم الإسباني بصورة محرفة هي "كالا" مثل كالاباركا وكالا بلانكا، فالأسماء المبدوء بكالا عربية لأنها تعني القلعة، وهناك عشرات الأسماء المبدوءة بهذه اللفظة.

ومن الأسماء المصدرة بلفظة جبل "جبل كوث" و"جبل كون" و"جبل ياس" و"جبل كوينتو" ومازالت إلى اليوم بهذه التسمية فأخطأ

(١) عبقرية اللغة العربية، ١٧٣.
(٢) المرجع السابق، ص ١٧٤.
(٣) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ١/١٢٩.

الإسبان فظنوا أن كل هذا التركيب اسما للجبل فأدخلوا عليه لفظة (مونت) ومعناها بالإسبانية الجبل لذلك قالوا: "موت جبل كوث" ومن الكلمات التي يتصدرها لفظة (جبل) كلمة "جبر التار" أي جبل طارق، و"جبللفارو" أي جبل الفارة(١).

والكلمات المصدر بلفظة "جنة" مثل "جينا راليف" أي جنة العريف. ومن الكلمات المصدرة بلفظة (مادينا): ما دينادل كامبتو، ومدينا سيدونيا(٢).

والكلمات العربية التي دخلت في الإسبانية أسماء وأفعال وحروف، ثم دخلت فيها أيضاً تعابير عربية مثل: متوجهين، يا الله –والله– فلان وعلان – مهما صار – واحدة بواحدة(٣).

ومثال التعابير التي دخلت الإسبانية قولهم: (إن شاء الله) وقد حرفوها قليلاً فقالوا: (Ojala)(٤).

وسنذكر بعض الأمثلة للألفاظ العربية التي دخلت الإسبانية بعد التعريف باللغة البرتغالية لأن أغلب الألفاظ مشتركة بين اللغتين.

---

(١) المرجع السابق، ١/ ١٢٨.
(٢) المرجع السابق، ١/١٣٠.
(٣) عبقرية اللغة العربية، ص ١٧٦.
(٤) دراسات في اللغة والأدب والحضارة ١/١٣٠.

٤- اللغة البرتغالية:

اللغة البرتغالية نتيجة تطور اللاتينية الشعبية في غرب شبه جزيرة إيبريا، والبرتغالية هي لغة البرتغال والبرازيل، وإقليم غاليسيا في إسبانيا، وما قيل في أثر اللغة العربية في الإسبانية يقال مثله في أثرها في اللغة البرتغالية، لأنهما نشأتا في أرض كانت تقطنها العربية لأكثر من ثمانية قرون بل بقي أثرها حتى بعد خروج العرب أو إخراجهم من شبه الجزيرة الإيبرية.

ولذلك نرى الباحثين يربطون بينهما، كما فعل دوزي وأنجلمان إذ ألفا معجماً بالكلمات الإسبانية والبرتغالية التي من أصل عربي(١).

وعن أثر العربية في البرتغالية يقول أنجلمان والعربية ظاهرة كل الظهور في الإسبانية والبرتغالية(٢).

وعن عظم أثر العربية في البرتغالية: يقول موسى كريم: "بل ليس في الأرض لغة تقرب بتعابيرها ومترادفاتها وجمالها وأمثالها من اللغة العربية، كاللسان الذي يتحدثون به اليوم في البرازيل، والبرتغاليون أجداد البرازيليين، ودخلت اللغة البرتغالية ثلاثة آلاف كلمة ومعظمها يبتديء بأل التعريف، ولا يزال على حالة باللفظ الأفرنجي(٣).

---

(١) ينظر: حاضرة العرب، ٤٤١، والفصحى لغة القرآن، ٩٠.
(٢) ينظر: الإسلام والحضارة العربية ١/١٧٨.
(٣) المرجع السابق ١/١٨٧.

ويقر أعلام اللغة البرازيليين بأن ثلاثين بالمائة من الألفاظ البرتغالية هي من أصل عربي بل صرح الأستاذ راجي باسيل الذي يعرف اللغتين العربية والبرتغالية معرفة جيدة، بأن نسبة العربية تصل إلى أربعين بالمائة[١].

وقد ألف راجي باسيل قاموس الألفاظ البرتغالية المشتقة من اللغة العربية وقد صدر منه ثمانية أجزاء[٢].

ويستطيع المرء أن يعرف بسهولة الكلمات البرتغالية ذات الأصل العربي وخاصة تلك التي في أولها (أل) التعريف ويقدر عدد الكلمات من هذا النوع بعشرة آلاف[٣].

ومن أثر العربية في اللغتين الإسبانية والبرتغالية أنهما قد كتبتا بحروف عربية عند نشأتهما[٤]، وهذا يفسر أن اللاتينية الشعبية التي تطورت عنها هاتان اللغتان كانت تكتب بالحروف العربية.

وهذه أمثلة للألفاظ العربية التي انتقلت إلى اللغتين الإسبانية والبرتغالية[٥]:

---

(١) دراسات في اللغة والأدب والحضارة ١٦٦.
(٢) المرجع السابق، ١٦٧.
(٣) المرجع السابق، ١٦٦.
(٤) الفصحى لغة القرآن ٩٠، ٩١.
(٥) ينظر: غرائب اللغة العربية، ٤٤، ٤٧.

العربية	الإسبانية	البرتغالية
الحصان	Alazan	Alaza oun
البردعة	Albarda	Albarda
البحيرة	Albufera	Albufeira
القصر	Alcazar	Alcacar
الخرشوف	Alcachofa	Alcachofra
عرق السوس	Alcazuz	Alcacus
القائد	Alcaet	alcaide
الكَبَر	Alcaparro	Alcaparra
الكروان	Alcaravan	Alcaravaoun
القطيفة	Alcatifa	Akatifa
الضيعة	Aldea	Aldeia
الخياط	Alfayate	Alfaiate
الخنجر	Alfange	Alfange
الفقيه	Alfaqui	Alfaqui
الحبق	Alfabega	Alfavaca
الخزامى	Alhucema	Alfaźema
الفارس	Alferez	Alféres
الخرج	Alforjas	AlfÔrge
الجب	Aljibe	Algibe
العربية (اللغة).	Algarabia	Algaravia
الوزير	Alguacil	Alguazil

Almécega	Almaciga	المصطكي
Almofaca	Almohaza	المحسة
Almofada	Almohada	المحذة
Almude	Almud	المد
Alquiler	Alquiler	الكِراء
Alvanel	Albagnil	البناء
Alveitar	Albeitar	البيطار
Alverca	Alberca	البركة
Alviçaras	Albricias	البشارة
Anil	Agnil	النيل
Arrabalde	Arrabal	الربض
ArrÔz	Arroz	الرز
Assucêna	Azucena	السوسنة
AtafÔna	Atahona	الطاحونة
Atalaia	Atalaya	الطليعة
Ataude	Ataud	التابوت
Auge	Auge	أوج
Azeite	Aceite	الزيت
AzeitÔna	Aceituna	الزيتونة
Mesquinho	Mez quino	مسكين

وقد انتقل إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية استعمال الأرقام العربية، والكسور العشرية(١)، ولم يقتصر الأمر على انتقال الألفاظ والمصطلحات من اللغة العربية إلى اللاتينية وعن طريقها إلى اللغات الأوربية، بل انتقلت الأمثال العربية إلى تلك اللغات يقول "غوستاف لوبون": "وأمثال العرب كثيرة إلى الغاية ومن أمثال العرب اقتبست إسبانية وبقية أوربا عدداً من الأمثال غير قليل، ومن يدقق في حكمة "سانكو پانسا"، يرى قسمها الكبير الذي لا ينضب معينه من أصل إسلامي"(٢) ثم أورد أمثلة منها ما يلي:

١- استفد من شبابك فالعمر قصير.

٢- انس همومك في ليلتك ما دمت جاهلاً ما في غدك.

٣- عاشر حداداً تضرّج بالسناج وعاشر عطاراً تنل شذا الأزهار.

٤- التدبير نصف المعيشة، وقد يكون بل كل المعيشة.

٥- الشجرة التي تخرج الورد تخرج الشوك.

٦- شاور من يبكيك لا من يضحكك.

٧- في الصلاح سر النجاح.

٨- منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.

---

(١) ينظر: الفصحى لغة القرآن، ص ٩٧، والأرقام العربية لأحمد مطلوب، ١٦، والأرقام العربية لمحمد حسن آي ياسين، ١٧.
(٢) حضارة العرب، ٤٥٢.

كما بين انتقال علم القافية إلى اللاتينية ومنه إلى اللغات الأوربية بقوله:" ومما بلغ درجة الثبوت في أيامنا كما يظهر، أن الأوربيين اقتبسوا فن القافية من العرب ودلت "مباجث □يادرو" وغيره من الكتاب الكثيرين على هذا الأمر الذي كان الأسقف، هويه، قد بينه منذ زمن طويل"(١).

ولذلك ظهرت القافية في الشعر الأوربي، الذي ظهر في المناطق التي استوطنتها اللغة العربية، وقد ذكرناها فيما سبق، وأن الذين قالوا هذا الشعر يعرفون العربية أو متأثرين بها، من ذلك ما يعرف بشعر التروبادور الذي ظهر في إقليم بروفنس في فرنسا، متأثراً كل التأثير بالشعر العربي العامي –أو الزجل– ولم يلبث هذا النوع من الشعر، أن عم أماكن متفرقة من غرب أوربا وألمانيا، ولقد قيل إن وليم التاسع أمير أكوتين أول شعراء التروبادور كان يعرف اللغة العربية واستخدم كثيراً من ألفاظها في أسفاره وزار البلاد العربية وتردد على الأندلس أكثر من مرة(٢).

والتروبادور شاعر غنائي اشتق اسمه من الكلمة العربية "طرب" وهو ينظم أغانيه على النظام العربي الذي وصفه الشاعر الغنائي العربي ابن قزمان.

---

(١) حضارة العرب، ٤٤٨.

(٢) ينظر: الإسلام في المغرب والأندلس لليفي بروفنسال، ٢٩٧، ٢٩٨، وشمس العرب تسطع على الغرب، ٥٣٣.

ومن الطريف أن شعراء التروبادور كانوا يوقعون أشعارهم على آلات موسيقية يطوفون بها في الطرقات، ويقصدون بيوت الحكام والأمراء مماجعل بعض الباحثين يرجح أنها مأخوذة من الطرب وأن الكلمة "طرب دور" محرفة عن "دور طرب"(١).

ونجد من يُرجع شعر التروبادور إلى الزجل العربي الأندلسي لأنه يشبهه من حيث الإلهام والوزن وتنويع القافية بعد أن انقضى العصر الذي كان فيه الشعراء ينسجون على منوال الشعر اليوناني واللاتيني(٢).

وهناك من يسميه الشعر الصقلي إذ يقول عنه "بترارك": وفي زمن قصير شاع ذلك النوع من الشعر الذي ولد بصقلية في كل إيطاليا، وتعداها"، ويقول "دانتي": "ولذلك يسمى كل ما نظمه أجدادنا من أشعار بلغة البلاد بالشعر الصقلي"(٣).

فالشعر الغنائي هو الشعر العربي العامي سواء كان في الأندلس أو صقلية أو بروفنس فليس هناك مانع من أن يكون شعر التروبادور هو مأخوذاً من الشعر العربي العامي في بروفانس، لأن اللغة العربية بقيت في هذه المنطقة أكثر من مئتي عام، فكما وجد هذا الشعر الغنائي في صقلية أو في الأندلس وجد في بروفنس؛

(١) ينظر: معالم الحضارة الإسلامية، ٣٠٨.
(٢) أوربا العصور الوسطى ٤٩٤/٢، والإسلام في المغرب والأندلس، ٢٨٣.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، ٥٣٤.

وهذا يعني أن الشعر العامي أو الزجل واحد لأن اللغة واحدة، ويمكن أن يولد في أي منطقة وينتقل إلى المناطق الأخرى.

ونرى العناية بالقافية في الشعر العاطفي الأوربي، الذي ظهر خلال الشطر الأخير من العصور الوسطى، والمعروف أن الشعر الأوربي الكلاسيكي لم يهتم بالقافية ولم يعطها عناية تذكر في مختلف أدواره بخلاف الوضع في الشعر العربي، الذي يرتكز على القافية، ويعتبرها منذ نشأته ركنا من أركانه، ولذلك فإن كثيراً من الباحثين والمستشرقين يعتقدون أن القافية جاءت أوربا عن طريق الشعر العربي، وهذا ما دفع بعض المتعصبين من رجال الغرب إلى محاربة القافية في الشعر بحجة أنها لم ترد في الشعر الكلاسيكي(١).

ونلاحظ أن العصر الذي ظهرت فيه العناية بالقافية عند الأوربيين، هو العصر الذي فيه اكتملت ترجمة التراث العربي، ولذلك فإن الشعراء الذين جاءوا بعد ترجمة التراث صاروا يعتنون بالقافية أمثال جوته وبلاتن، وستفن جورج من أعلام أوربا(٢).

أما أثر النثر العربي في الآداب الأوربية، فلا مجال للشك فيه، فاهتمام الأوربيين بالدراسات والكتب العلمية صحبه اهتمام آخر بالمؤلفات الأدبية عند العرب، مثال ذلك قصة "الكوميديا الإلهية" للكاتب الإيطالي "دانتي" التي نالت من الشهرة والذيوع، ما لم ينله

---

(١) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٢/٤٩٤.
(٢) المرجع السابق ٢/٤٩٤.

إلا القليل، من الأعمال الأوربية الكبرى، إذ تبين للباحثين أنها تقوم على أساس قصة الإسراء والمعراج، وما كتب حولها من قصص كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والتوابع والزوابع لابن شهيد، والفتوحات المكية لابن عربي وخاصة في الرسالة التي عنوانها "كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى"(١).

وهذه الأدلة التي تثبت ذلك(٢):

١- كتاب الصور الإسلامية للعالم الآخر في الكوميديا الإلهية، للمستشرق الإسباني (ما يجل آسين بلاثيوس)، وقد أثبت بالبراهين العلمية، والوثائق المقارنة بأن بضاعة "دانتي" ذات جذور إسلامية، لا في الخطوط العامة، وإنما في كثير من التفاصيل والجزئيات، ورسم المشاهد والصور، حتى لقد أشار إلى أن هناك كلمات وتعبيرات عربية، دخلت ملحمة "دانتي" بمقابلاتها الإيطالية الدقيقة.

٢- كتاب "الصعود أو المعراج" للعالم الإيطالي "إنريكوتشيروللي" الذي ذكر فيه أنه عثر على ترجمتين، إحداهما فرنسية قديمة، والأخرى لاتينية، كلتاهما ترجمة لقصة المعراج، وفي هاتين الترجمتين يجد المرء الصور الإسلامية التي أخذها "دانتي" وضمنها في "كوميداه الإلهية". واستطاع "تشيروللي" أن

(١) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ٢٥٩، ومعالم الحضارة الإسلامية، ٣٢١.
(٢) دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ٢٦٦-٢٦٧.

يثبت في مقال نشره في مجلة (الأندلس) أن مجلس بلدة "دانتي" أي فلورنسة، أرسل في سنة ١٢٦٠م (برونتّو لاتيني) إلى بلاط الملك الفونسو العاشر في إسبانيا، وأن لاتيني هذا عاد إلى إيطاليا بعد حين وهو محمل بعدد كبير من الكتب، مما كان قد ترجم من العربية إلى اللاتينية والإسبانية، ومن بين هذه الكتب كتاب المعراج.

وإذا عرفنا أن (لاتيني) هذا هو شيخ "دانتي" عرفنا كيف عبرت الثقافة العربية إلى فكر شاعر "الكوميديا الإلهية".

وقد أثبت "تشيروللي" أيضاً أن رجلا اسمه "دسّينا" كان قد ترجم كتاب المعراج من اللاتينية إلى الإيطالية وأن هذه الترجمة عرفت في فلورنسة وذاعت بين المثقفين في أيام "دانتي"، دليل ذلك أن الشاعر الإيطالي "أوبرتي" الذي كان معاصراً لـــ"دانتي" ذكر في شعره كتاب المعراج.

٣- نشر العالم الإسباني "ساندينو" فصولاً من قصة المعراج التي قد ترجمت في الماضي للإسبانية، إذ ترجمها آنذاك رجل عربي اسمه "إبراهيم الفقيه" بأمر من الملك الفونسو العالم في القرن الثاني عشر، واسم هذه القطعة المترجمة الميراش أي المعراج.

٤- ومما استدل به الباحثون على تأثر "دانتي" بالفكر الإسلامي هو أن "دانتي" نفسه قد تحدث في مؤلفاته عن الفلاسفة والفلكيين المسلمين كالفارابي والغزالي وابن رشد وأبي معشر

والفرغاني والبطروجي.

٥- يقول المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غابريللي: "إن وجود كتاب المعراج وثبوت انتقاله إلى عالم "دانتي" هما دليلان يثبتان بصورة آلية الاعتماد المباشر للمتأخر على المتقدم في السلسة الطويلة من أوجه التماثل التي أوردها آسين، وهي أوجه التماثل في أسلوب التأليف، وفي الفكر، وفي الأخلاق اللاهوتية، وفي الصور، وفي رواية الحوادث.

وممن تأثر بالثقافة العربية الأندلسية، الكاتب الإسباني "سرفانتيس" الذي يعتبر من أعظم كتاب القصة العالميين، وقد اتضح ذلك في قصته "دون كيشوت"(١).

كما أن قصة "روبنسن كروزو" مأخوذة عن قصة حي بن يقظان التي كتبها فيلسوف الأندلسي ابن الطفيل، والتي ترجمت إلى اللاتينية سنة ١٦٧١م وإلى الإنجليزية سنة ١٧٠٨م(٢).

وهكذا نرى كيف أثرت اللغة العربية في اللغات الأوربية شعراً ونثراً، وفكراً وعلماً وخيالاً، بعد أن مدتها بآلاف الكلمات وكثيراً من المصطلحات، كما انتقلت كثير من الكلمات العربية عن طريق المشافهة، أو الاختلاط في المناطق التي استوطنتها العربية.

---

(١) ينظر: التراث والحضارة الإسلامية، ص ٨٢.
(٢) ينظر: أوربا العصور الوسطى ٢/٤٩٦.

الخاتمة

من أهم نتائج هذا البحث ما يلي:

١- اللغة اللاتينية هي لغة الكنيسة الغربية "الكاثوليكية" في أوربا وهي لغة العلم والمعرفة، وقد ازدادت أهميتها عند ترجمة التراث العربي الإسلامي إليها لأنها أصبحت لغة لجميع الأوربيين واستمرت حتى سنة ١٧١٤هـ.

٢- عبرت اللغة العربية إلى أوربا عن طريق الأندلس وصقلية وجنوبي إيطاليا وجنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا، وجرز البحر الأبيض المتوسط، مثل جرز "البليار" و"سردينيا" و"كورسيكا" وقد دخل الإسلام هذه المناطق وخرج بخروج المسلمين.

٣- بلغت الحضارة الأندلسية ذورة مجدها في تام القرن الثالث الهجري وجذبت آلافاً من اليهود والمسيحيين بل إن الطلبة من جميع أنحاء الدنيا قد تدفقوا عليها وعلى قرطبة بالذات ليتعلموا فيها، وأصبحت قرطبة مركزاً للشعراء والأدباء والعلماء.

٤- يعتبر سقوط طليطلة في أيدي الإسبان حدثاً تاريخياً مهماً لما يلي:

أ – استعادة طليطلة يعني استعادة العاصمة الإسبانية قبل الفتح الإسلامي، وهذا يعني استعادة الأندلس.

ب- ذهاب خوف النصارى من المسلمين بعد سقوط طليطلة لأنهم كانوا يخافون من المسلمين خوفاً شديداً.

ج- نجاح التجربة الأوربية الغربية وهي الحرب الجماعية إذا اشترك في إسقاط طليطلة الألمان والإيطاليون والفرنسيون بالإضافة إلى النصارى في شمال الأندلس، وكررت التجربة في الاستيلاء على لشبونة إذ اشترك فيها الإنجليز والفرنسيون والألمان والسويسريون، وحصل مثل هذا في سقوط غرناطة.

د – بعد سقوط طليطلة تجرأت أوربا الغربية على غزو المسلمين في عقر دارهم فاكتمل الاستيلاء على صقلية عام ١٠٩١م وبدأت أولى الحروب الصليبية عام ١٠٩٦م.

هـ- سقوط طليطلة بداية عصر العلم في أوربا، إذ إنه باستيلاء المسيحيين على طليطلة، عثروا على مئات المراجع العربية في مختلف العلوم، وكلما ازداد توسع المسيحيين في بلاد الأندلس، اكتشفوا كنوزاً جديدة من الكتب العربية، وللاستفادة من هذه المجموعات الهائلة من المؤلفات العربية التي وجدت في الأندلس، أسس "المطران ريموند" رئيس أساقفة طليطلة مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية، تضم عدداً كبيراً من العلماء من مسلمين ومستعربين ويهود، فترجمت علوم العرب وكتبهم إلى اللاتينية، مما أتاح لأوربا منهلاً ظلت تنهل منه، منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الخامس عشر.

٥- ترتب على حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية،

ثورة علمية وفكرية شاملة في غرب أوربا، ذلك أن المعارف الجديدة التي نقلت من العربية إلى اللاتينية، جعلت الأوربيين يفيقون من الظلمة والجهالة ويقبلون على الدراسات العلمية الجديدة في شغف ونهم، فنقلت العلوم من العربية إلى اللاتينية، وأصبحت تدرس في الجامعات الأوربية لقرون عديدة وعلى هذه العلوم بنت أوربا نهضتها الحديثة.

٦- اللغة العربية متغلغلة في اللغات الأوربية، إذ انتقلت آلاف من الكلمات العربية إلى اللغة اللاتينية، لأن اللغة اللاتينية كانت بحاجة إلى المصطلحات البحرية والتجارية والإدارية والعلمية التي كانت في العربية في أثناء الترجمة إلى اللاتينية، ومن اللاتينية انتقلت هذه الكلمات إلى اللغات الأوربية، التي نشأت في القرن السادس عشر، هذا من ناحية الترجمة ومن ناحية أخرى انتقلت آلاف الألفاظ العربية في أثناء الصراع بين العربية وبين اللاتينية في المناطق التي استوطنها العربية من أوربا الغربية التي ذكرناها في معابر اللغة العربية إلى أوربا مما جعل الألفاظ العربية تكوّن جزءاً من ألفاظ اللغات الأوربية ففي الإسبانية تكون الألفاظ العربية خمسين في المائة من ألفاظ تلك اللغة، وفي البرتغالية أربعين في المائة، وفي الإنجليزية توجد عشرة آلاف كلمة عربية، وفي الألمانية عدد كبير من الألفاظ العربية، وفي الإيطالية تفوق الألفاظ العربية الحصر، ولا تزال أسماء بعض المواقع في جبال الألب بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا تدل على أصلها العربي، وفي فرنسا نجد أن اللهجات السائدة في ولاية أوفرن وولاية ليموزين في الجنوب

الفرنسي محشوة بالكلمات العربية، وأن أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربية، وبقاء العرب في جنوب فرنسا لأكثر من مئتي عام، صار ذا أثر في اللغة والدم، ولذلك لا يزال ذوو الأصول العربية في فرنسا يعرفون بأشكالهم وألوانهم ومثل ذلك في سويسرا إذ توجد كثير من العائلات التي تنتسب إلى العرب أو المسلمين، وقد انتقل إلى اللغة اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوربية استعمال الأرقام العربية والكسور العشرية، ولم يقتصر الأمر على انتقال الألفاظ والمصطلحات من العربية إلى اللاتينية، وعن طريقها إلى اللغات الأوربية، بل انتقلت كثير من الأمثال العربية، كما انتقل علم القافية إلى اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوربية في عصر الترجمة، أو في أثناء الصراع بين العربية واللاتينية في أوربا الغربية، ولذلك نجد أن الشعراء الذين جاءوا بعد ترجمة التراث العربي الإسلامي إلى اللاتينية، يهتمون بالقافية ويعتنون بها، بينما نجد أن الشعراء الذين وجدوا قبل الترجمة لا يلقون أي اهتمام بالقافية، ولذلك حارب بعض المحدثين من الأوربيين القافية، بدليل أنها لا توجد في الشعر اللاتيني القديم، كما تأثر الأوربيون بالشعر العربي العامي الغنائي ولذلك وجد عندهم ما يعرف بشعر التروبادور، وقد أثرت العربية بنثرها في اللغات الأوربية تأثيراً واضحاً، إذ نجد أن "دانتي" الإيطالي في قصته "الكوميديا الإلهية" قد تأثر بقصة المعراج وما كتب حولها كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والفتوحات المكية لابن عربي، والزوابع والتوابع لابن شهيد، وثبت تأثر "سرفانتيس" الإسباني في قصته "دون كيشوت" بالثقافة العربية، كما أن قصة "روبنسن كروزو" مأخوذة عن قصة حيّ بن يقظان التي كتبها

فيلسوف الأندلس ابن الطفيل وترجمت إلى اللاتينية سنة ١٦٧١م، وإلى الإنجليزية سنة ١٧٠٨م.

٧- إن الذي طرد العرب من الأندلس ليس الإسبان وحدهم كما هو مشهور في كثير من كتب التاريخ، بل طردتهم أوربا الغربية (الكاثوليكية) فقد اشترك في طرد العرب الإيطاليون والفرنسيون والألمان والإنجليز والسويسريون والنصارى الإسبان، لأن الإسبان المسلمين وهم جزء كبير من سكان الأندلس الأصليين، قد طردوا مع العرب، ولذلك فإنه عندما حشر المسلمون في مملكة غرناطة الصغيرة في منتصف القرن السابع الهجري ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادي، حصل فراغ سكاني في وسط الأندلس وجنوبه فشغل هذا الفراغ بسكان من أوربا الغربية وخاصة جنوب فرنسا، والطريقة التي اتبعها النصارى في القضاء على الإسلام والمسلمين في الأندلس هي: الطرد، والتنصير، والإبادة، وعادة ما تكون بالحرق، وقد اتبعت هذه الطريقة في جنوب فرنسا، وجنوب إيطاليا، وصقلية، وجرز البحر الأبيض المتوسط، وهؤلاء الذين طبقت عليهم هذه الطريقة كثير منهم ليسوا من العرب، بل هم من الإيطاليين والصقليين والفرنسيين؛ لأن كثيراً من سكان أوربا الغربية قد دخلوا في الإسلام طوعاً.

٨- كان لاستخدام البارود والأسلحة النارية دور كبير في سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين، واللغة العربية في الأندلس.

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١- أثر الإسلام في أوربا القرون الوسطى، وليام مونتجومري وات. ترجمة الدكتور عبد السلام حافظ - نشر دار مكتبة الزمان بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢- الأدب العربي في الأندلس، للدكتور عبد العزيز عتيق - نشر دار النهضة العربية - بيروت.

٣- الأدب الأندلسي التطور والتجديد، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - نشر دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.

٤- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور أحمد هيكل، نشر دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة، ١٩٧٩م.

٥- الأرقام العربية، للدكتور أحمد مطلوب، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦- الأرقام العربية، نشأتها، تطورها، لمحمد حسن آل ياسين، نشر المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٧- أوربا العصور الوسطى، للدكتور عبد الفتاح عاشور، نشر مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة العاشرة ١٩٨٦م.

٨- أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، للدكتور عبد المجيد نعنعي، نشر دار النهضة العربية - بيروت، طبعة ١٩٨١م.

٩- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، نشر مجلة الأمة - الدوحة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٠- الإسلام تاريخ وحضارة، لأنور الجندي - نشر دار الاعتصام.

١١- الإسلام في المغرب والأندلس، لليفي بروفنسال، ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي، نشر مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، ١٩٩٠م.

١٢- الإسلام والحضارة العربية، لمحمد كرد علي، نشر مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

(ت)

١٣- التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي في عصر النهضة، للدكتور جمال الدين الشيال، نشر دار الثقافة - بيروت.

١٤- تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي - نشر دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ/

١٩٧٤م.

١٥- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، للدكتور محمود المقداد - نشر دار عالم المعرفة - الكويت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٦- تاريخ العلم ودور العلماء العرب فيه، للدكتور عبد الحليم منتصر - نشر دار المعارف - القاهرة.

١٧- تاريخ العلوم عند العرب، للدكتور كامل حمود - نشر دار الفكر اللباني - بيروت، ١٩٩٢م.

١٨- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، لأشكيب أرسلان - نشر دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩- التراث والحضارة الإسلامية، للدكتور ماهر عبد القادر محمد، نشر دار النهضة العربية - بيروت.

(ح)

٢٠- حركة المقاومة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، للدكتور عبد الواحد ذنون طه، نشر دار المدار الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

٢١- حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر - نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٢- الحضارة العربية طابعها ومقوماتها العامة، للدكتور عبد السلام كفافي، نشر دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٠م.

(د)

٢٣- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، لحكمت بشير عبد الرحمن، نشر جامعة الموصل، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م.

٢٤- دراسات في اللغة والأدب والحضارة، للدكتور محمود الربداوي، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(ر)

٢٥- روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، للدكتور علي عبد الله الدفاع – نشر مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(ش)

٢٦- شعراء التروبادور، لمريم البغدادي، نشر تهامة – جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٧- شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربّة"، للمستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" ترجمة فاروق بيضون، وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت – الطبعة الثامنة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(ع)

٢٨- عبقرية اللغة العربية، للدكتور عمر فروخ – نشر

دار الكتاب العربية – بيروت، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٩- العلوم عند العرب، لقدري حافظ طوقان، نشر دار ومكتبة الهلال.

٣٠- العلوم عند العرب، أصولها وملامحها الحضارية، للدكتور حربي عباس عطيتو والدكتور حسان حلاق – نشر دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٩٥م.

(غ)

٣١- غرائب اللغة العربية، للأب رفائيل نخلة اليسوعي، نشر دار المشرق – بيروت – الطبعة الرابعة.

(ف)

٣٢- الفصحى لغة القرآن، لأنور الجندي – نشر دار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان.

٣٣- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، للدكتور طه ندا، نشر دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٧٦م.

٣٤- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، للدكتور السيد عبد العزيز سالم، نشر مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، ١٩٨٥م.

(ل)

٣٥- اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس –

نشر دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م.

٣٦- اللغة العربية في العصر الحديث، قضايا ومشكلات، للدكتور محمود فهمي حجازي - نشر دار قباء بالقاهرة، طبعة ١٩٩٨م.

(م)

٣٧- مدخل إلى علم اللغة، للدكتور محمود فهمي حجازي - نشر دار الثقافة بالقاهرة - الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

٣٨- المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية، لمحمود شاكر - نشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعـة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٩- المسلمون في تاريخ الحضارة لاستانوودكب، ترجمة الدكتور محمد فتحي عثمان - نشر الدار السعودية - جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٠- مصرع غرناطة، للدكتور شوقي أبي خليل - نشر دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣
التمهيد: اللاتينية لغة العلم والمعرفة في أوربا.................. ٨
الفصل الأول: معابر اللغة العربية إلى أوربا ١٤
تمهيـد: ١٤
المبحث الأول: الأندلس "إسبانيا والبرتغال) ١٦
المطلب الأول: التعريف بالأندلس وحضارتها العربية الإسلامية ١٦
سكان الأندلس قبل الإسلام:........................ ١٧
فتح الأندلس: ١٩
انتشار العربية في الأندلس:............................ ٢٠
حضارة الأندلس: ٢٤
المطلب الثاني: القضاء على المسلمين ولغتهم العربية ٢٩
المبحث الثاني: صقلية وجنوبي إيطاليا ٥٠
فتح صقلية: ٥٠
جنوبي إيطاليا: ٥٤
سردانية (سردينيا): ٥٨
كورسيكا (قورشقه): ٥٨
أثر العرب والعربية في اللغة الإيطالية:........................ ٥٩

تنصير بقايا الصقليين: ٦٢

بقاء العربية في صقلية إلى أواخر القرن التاسع الهجري: . ٦٤

المبحث الثالث: جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا.........٦٧

الفصل الثاني: مدرسة طليطلة والترجمة من العربية إلى اللاتينية
.... ٧٥

الفصل الثالث: أمثلة لما أخذته أهم اللغات الأوربية..............٩٥

١- اللغة الفرنسية:..٩٦

٢- اللغة الإنجليزية: ٩٨

٣- اللغة الإسبانية: ١٠٩

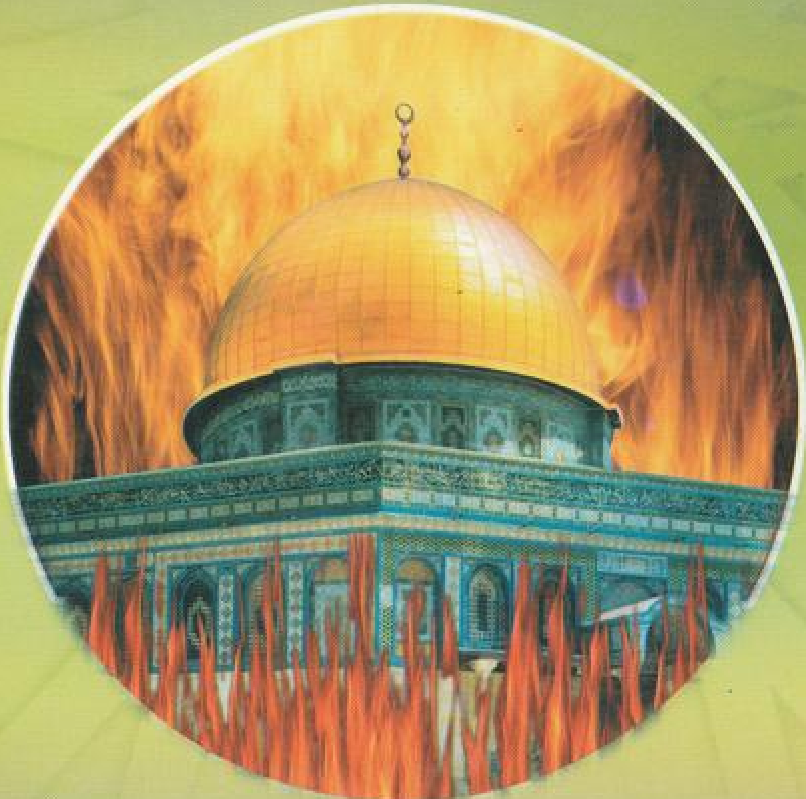
٤- اللغة البرتغالية: ١١٥

الخاتمــة..١٢٦

فهرس المصادر والمراجع ١٣١

فهرس الموضوعات ١٣٧

كلية الدراسات الإسلامية والعربية



علمية محكمة